ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربويّة والإنسانية والآداب واللّغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربويّة والإنسانية والآداب واللّغات تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشريةّ رماح، عمان، الأردن

المجلد 01 العدد 01

إدارة المجلة

المشرف العام: أ.د/ خالد الخطيب –الأردن–

المشرف الشّرفي: أ.د/ حاجي دوران –تركيا–

المشرف المباشر: أ.د/ عبد الواحد زيارة إسكندر المنصوري، جامعة البصرة، العراق

مدير المجلة: أ.د/رحيم حلو محمد البهادلي جـــامعة البصرة، العـــــراق

نائبة مدير المجلة: د/ نعيمة رحمـــــــاني جـامعة تلمسان– الجزائـــــر

رئيس التحرير: أ.د/ محمد قاسم نعمة الناصر جـــامعة البصرة، العـــــراق

العنوان الإداري للمجلة

مركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رماح)

شارع وصفي عمان –الأردن–

الهاتف /الفاكس: 0096265153561

إيميل المجلة: researchre99@gmail.com

رابط الموقع الإلكتروني: https://remahresearch.com

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربويّة والإنسانية والآداب واللّغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربويّة والإنسانية والآداب واللّغات تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشريةّ رماح، عمان، الأردن

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د/ عصام كاطع داود الشويلي، جامعة البصرة، العـــــــــــراق
أ.د/ تحرير علي حسين علوان، جـــامعة البصـــــرة، العـــــراق
أ.د/ هاشم صالح مناع، جامعة الإسراء، عمـــــــــــان، الأردن
أ.د/ حميد سراج جابر الأسدي، جامعة البصرة، العـــــــــــراق
أ.د/ فالح صدام منشد الإمارة، جامعة البصرة، الـــــــــــعراق
أ.د/ فـــــــريد أمعضشو، جـــــامعة وجـــدة، الـــــمغرب
أ.د/ ماجد عبد الحميد عبد الكعبي، جامعة البصرة، العـــــــــــراق
أ.د/ خالد الجندي الجامعة اللبنانيـــــــــة لبنـــــــــــــان
أ.د/ عمار محمد يونس الساعدي، جامعة كربلاء، العـــــــــراق
أ.د/ زمان عبيد وناس المعموري، جامعة كربلاء، العـــــــــراق
أ.د/ فاضـــــل بيـــات مركز إرسيكـــــــــا تركيـــــــــــــا
أ.د/ حيدر عبد الرضا حسن التميمي، جامعة البصرة، العـــــــــراق

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أ.د/ رشيد محمد كهوس، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المغرب
أ.د/ سعد عبود سمار السوداني، جامعة واسط، العـــــــــــــراق
د/ أســـــامة إسماعيل عطـــــا الله، جـــــــــــامعة فلســـــــــطين
د/ بولرباح عثمـــــــــاني، جـــــامعة الأغـــــــواط، الجـــــزائر
د/ عبد الرحـــــيم قصبـــــــاوي، جـــــامعة القنيطـــــــرة، المغرب
د/ زينـــــب دهـــــــيمي، جـــــــامعة ورقلـــــــة، الجـــــــزائر
د/ ليلى العـــــــبيدي، جـــــــــامعة منـــــوبة، تـــــــــونس
د/ مهـــــــا بن سعيد، جـــــــامعة الـــــــرباط، المـــــــغرب
د/ مـــــــــومني بـــــــوزيد، جـــــــامعة جيجل، الجـــــــــزائر
د/ علـــــــي حـــــمزة عباس عثمان الصوفي، جامعة الموصل، العـراق
د/ بلـــــــحميتي آمـــــــــال، جـــــــــامعة مستغانم، الجـــــزائر
د/ عصـــــــام محمد حسن كـــــايد، جـــــامعة الإســـــــراء، الأردن
د/ عبد الرؤوف أحمد عايش بني عيسى، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

شروط النّشر في المجلّة

الأفكار والآراء التي يتضمّنها البحث لا تعبّر عن رأي المجلّة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أنّ ادراة المجلة بفروعها وخاصة هيئة التحرير، غير مسؤولة عن أيّ سرقة علميّة تتم في البحوث المقدّمة لها.

1-تنشر مجلّة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللّغات الأبحاث الأصيلة ذات المنهجيّة العلميّة الرصّينة والتي تلتزم بالموضوعيّة، وتتوافر فيها الدّقة والجديّة.

2-كلّ بحث لا يحترم شروط النّشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.

3- تخضع كلّ الأبحاث إلى التّحكيم من قبل هيئة مختصّة، ويلقى البحث القبول النّهائي بعد أن يقوم الباحث بالتّعديلات المقترحة.

4-للمجلّة كلّ الحق في أن تطلب من الباحث أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب مع طبيعة المجلّة.

5-لا يجب أن يكون البحث قد سبق نشره أو كان جزءا من كتاب منشور.

6-يتعهّد الباحث بعدم تقديم البحث للنشّر في جهة أخرى، بعد إقرار نشره في مجلّة مجلّة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللّغات، إلاّ بعد الحصول على إذن كتابيّ بذلك من مدير المجلّة.

7-لا تتجاوز صفحات البحث المقدّم 20 صفحة.

8- على الباحث احترام شروط الكتابة التّالية:

*تحتوي الصّفحة الأولى من البحث على؛ عنوان البحث، الاسم الكامل للباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي اليها باللّغة العربيّة واللّغة الانجليزيّة، البريد الالكتروني للباحث، ملخّص للدّراسة في حدود 150 كلمة حجم 12 بلغة المقال وبلغة أجنبيّة (الإنجليزية)، الكلمات المفتاحيّة بعد الملخّص.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

*تقدّم الأبحاث مكتوبة ببرنامج Word بخط Traditionnel Arabic حجم 14، تكتب العناوين الرئيسيّة والفرعيّة للفقرات بحجم 14 مثلها مثل النصّ الرئيسيّ لكن مع تضخيم الخط. أما الأبحاث المكتوبة باللّغة اللاتينيّة فتكتب بخط Time new Roman، بحجم 12 وتكون الحواشي 4 سم على جوانب الصّفحة الأربعة، كما تدرج الرّسوم البيانيّة والأشكال التوضيحيّة في المقال، وتكتب عناوينها والملاحظات التوضيحيّة أسفلها، أما الجداول ترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها أعلاها والملاحظات التوضيحيّة أسفلها.

*يلتزم الباحث بتهميش المعلومات على طريقة APA American Psychological Association

*بالنّسبة لعلامات الترقيم، توضع النّقطة (.) بعد الكلمة مباشرة دون وجود فراغ بينهما، ويوضع فراغ واحد بين النّقطة وبداية الجملة التّالية. كما لا توضع النّقطة (.) أبدا في العناوين، أمّا إذا كان العنوان يضمّ عنوانين أحدهما فرعيّ والآخر رئيسيّ فيفصل بينهما بنقطتين.

*تكتب واو العطف ملتصقة بالكلمة التي تليها ولا يترك فراغ بينهما.

* عدم الإكثار من الفقرات وجمعها في نصّ سياقي واحد، واللّجوء الى الفقرات عند الضرورة النصية.

*تترجم الخاتمة والمراجع الى اللغة الإنجليزية.

9-الأفكار والآراء التي يتضمّنها البحث لا تعبّر عن رأي المجلّة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أنّ إدارة المجلة وفروعها خاصة هيئة تحرير، غير مسؤولة عن أيّ سرقة علميّة تتم في البحوث المقدّمة لها.

10- يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلميّ والثقافيّ

ترسل الأبحاث إلى إيميل المجلة researchre99@gmail.com

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربويّة والإنسانية والآداب واللّغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربويّة والإنسانية والآداب واللّغات تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشريةّ رماح، عمان، الأردن

الفـــــــهرس

جمال عناصر الطبيعة وأثره الدلالي في نماذج شعرية للمتنبي د/ عبد الحميد معيفي أد / حشلافي لخضر	ص08
تنظيم مجلس الوزراء بالأندلس في العهد الأموي (138هـ-422م/756-1031م) د. وهراني قدور د. بحري أحمد	ص20
الهجرة الأندلسية ودورها في التواصل الثقافي بين مصر والأندلس خلال القرن السابع والثامن الهجريين د عمر سي عبد القادر	ص31
البيوتات الصوفية الغرناطية : دراسة في النماذج والإنتاج . د- رشيد يماني	ص46
العلوم الدينية بالمغرب الأدنى خلال العهد الحفصي(علم الفقه نموذجا) د رحيم عائشة.	ص68
الاضطرابات العصبية في المغرب وانعكاسها على الاندلس د/ عمر بوخاري	ص82

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الرؤية اللونية والخلق الشعري قراءة في المفاهيم والدلالات الدكتور محمد بوعلاوي	ص98
النقد التطبيقي المغربي القديم ومؤلفاته -قراءة مركزة في المضامين- د/جلول دواجي عبد القادر	ص111

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 01 بتاريخ 2020/06/10م

ISSN: 2708-4663 **DNNLD :2020-3/1128**

جمال عناصر الطبيعة وأثره الدلالي في نماذج شعرية للمتنبي

د/ عبد الحميد معيفي

جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف

أد / حشلافي لخضر

جامعة زيان عاشور الجلفة

ملخص:

كانت عناصر الطبيعية مصاحبة للشاعر في كل العصور الأدبية، ويعود هذا لأسباب عديدة، ومن أهمّها أنّ الشّاعر ابن بيئته، إذ لا يمكنه التخلي أو الخروج عن إطارها، لأنّ عناصرها من مكونات إبداعه ورافد من روافد ابتكاره، ولهذا السبب وذاك يعود إليها في كلّ مرّة ينهل منها معتمدا على عناصرها ليشكّل أبدع الصور و أرقاها وهذا ما عايشناه في هذه النماذج من شعر المتنبي الذي جعل من عناصر الطبيعة لوحات فنية، فأصبح يرسم بالحروف والكلمات ما تعجز عن البوح به ألوان الرسام في بعض الأحيان، لتوصلنا عناصر الطبيعة الموظفة إلى العديد من الدلالات والمعاني.

الكلمات المفتاحية: الطبيعة، الدلالة، المتنبي، نماذج شعرية

Abstract

The natural elements were accompanying the poet in all literary eras, and this is due to many reasons, the most important of which is that the poet is the son of his environment, as he cannot abandon or depart from its framework, because its elements are components of his creativity and a tributary of the tributaries of his innovation, and for this reason and that he returns to it every time Some of them relied on their elements to form the most beautiful and finest images, and this is what we lived through in these models from Al-Mutanabbi's poetry, which made nature's elements as artistic paintings, so he became drawing with letters and words what he was unable to reveal about the painter's colors at times, so that the elements of the employed nature reached many indications and meanings .

Key words: nature, significance, Mutanabi, poetic models

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

تمهيـــد:

تحتل الطبيعة مكانة عظيمة في حياة الإنسان، ومكانة أعظم في حياة الشاعر والمبدع وهذا ما جعل المهتمين بالشعر في كل عصوره يفردون غرضا شعريا يُدعى "شعر الطبيعة" نظرا لما تقدمه الطبيعة – وخاصة الأندلسية – من جمال فياض، و مناظر خلابة تُذهل العقول والألباب، لذلك لجأ الشعراء وغيرهم إلى الطبيعة جاعلين منها مصدر إلهامهم ونجواهم، إلاّ أن هناك من جعل بينه و بينها حاجزا وهميا صنعه بعض من الشعراء ليجدوا سببا للهروب من جهة و لإقناع أنفسهم بأنهم لا يعيشون لحظات الضياع و الوحدة من جهة ثانية، و لكن كان من الأجدر بهذه الثلّة بأنّ تلجأ إلى أحضان الطبيعة حتى تطرد شبح الخوف من المجهول الذي يهدد حياتهم، ‹‹ **و كانت الطبيعة مادة للوصف حينا ومادة حينا آخر لنقل الحالات النفسية و الأفكار و المعاني** ›› (**إيليا الحاوي ، دار الكتاب بيروت ، 1980، ص 33**) فإذا عرف الشاعر كيف يوظف عناصرها فسيكون لشعره بعد آخر، يُعبّر عن حالاته وهواجسه النفسية بكل صدق، لذلك يلجأ الشاعر إلى الطبيعة كي يطعمّ شعره، فهي سند وشريك في الكتابة، لأنها تدفعه وتثيره وتقوده في الوقت نفسه، و تلهمه و تملي عليه ما يكتب.

ألفاظ الطبيعة ودلالتها:

ستظل أشعار المتنبي على الدوام المثال الحي والنهر الذي لا ينضب من الأمثلة الخالدة والاستدلالات القيمة، لأنها مفعمة بعناصر الطبيعة التي تمثل ملاذا للشعراء ومأوى للهائمين وروحا للمبدعين وملجأ للتائهين، فهي تبقى الزاد والملهم الحقيقي لجل المبدعين ولو نتأمّل الأبيات التالية لوجدنا كل بيت يضم عنصرا أو عنصرين من عناصر الطبيعة فالشاعر مرّة يلجأ إلى الماء و مرّة إلى السماء فيتأمل النجوم و الضياء حتى يكمل أبياته بأجزاء من الطبيعة حين يقول : (**محمد خدّاش، مصر، 2013 م، ص 66**)

– أَتُنْكِرُ يَا ابنَ إسْحَاقٍ إِخَائي ... وَ تَحْسَبُ مَاءَ غَيرِي من إنائِي

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وحينما يوظف الشاعر عناصر الطبيعة يكون رامزا من خلال ذلك التوظيف إلى مغزى و دلالة معيّنة ، وهذا بحسب السّياق الذي وُظّف فيه هذا العنصر، كما أن الشاعر يُوظّف عنصرا آخر في البيت الرابع حين يقول : (**محمد خدّاش، مصر، 2013 م، ص 66**)

– وَتُنكِرَ مَوتَهُمْ و أنا سُهَيلٌ ... طَلَعْتُ بمَوْتِ أوْلادِ الزّنَاءِ

ويشبه الشاعر نفسه بـ (سهيل) ، وهو نجم جُعل كنذير شؤم فإذا لمحوه حلّ الوباء بالأرض الّتي ظهر فيها ، لأنّ الشاعر سيكون سببا في موت الحساد غيضا و كمدا والتشبيه كان مبنيا على عنصرين متباعدين لذلك كان دقيقا و موحيا ، و الشاعر جعل هذه العناصر (الصبح ، اللّيل ، الضياء ، السماء ، سهيل ، الماء) أداة للتمثيل و التصوير المبني على الواقع و الخيال ، لأنّه لم يجد أفضل من هذه العناصر لنقل مقصده و تقريب الصورة و المعنى و الدلالة من المتلقي ، و الشاعر يعتزّ بنفسه و يثبت وجوده ، لذلك شبّه نفسه "بسهيل"، ويريد أن يبرزها للشّخص الذي يعاتبه .

ونجد الشاعر هنا يقوم بتوظيف عناصر من الطبيعة، ومنها "الماء"، و تمثيله الذي يحمل بعدا دلاليا ، فاختيار هذا العنصر بالذات (الماء) ، لأنه وجد في الماء النقـاء والصفاء و العذوبة و الغذاء ...إلخ ، لذلك مثّل شعره بالماء به في العذوبة والنقاء والصفاء لذلك نقول: بأن الماء يبقى بعيدا عن الشعر؛ لان الماء هو الحياة، ويبقى الشاعر مع عناصر الطبيعة، وفي البيت الثاني يوظف عبارة (السماء)، والشاعر في هذه الأبيات نوّع عناصر الطبيعة، فنجده مرة يستعين"بالماء"ومرة"بالسماء"ومرة"بالضياء" في قوله : (**محمد خدّاش، مصر، 2013 م، ص 66**)

. أَأَنْطِقُ فِيكَ هَجرًا بَعدَ عِلمِي... بِأنّكَ خَيرُ من تَحتَ السَّمَاءِ

. وَهبْنِي قلتُ هذا الصُّبحُ لَيلٌ ... أيَعمَى العَالِمُون عَن الضِّياءِ

– وَتُنكِرَ مَوتَهُمُ و أنا سُهَيلٌ ... طَلعتُ بِموتِ أوْلادِ الزّنَاءِ

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

كما نجد مبالغة في توظيف هذه العبارة (السماء) ، إلاّ أن الشاعر قد وفّق في اختيار هذا العنصر، كي يبين من خلاله مدى الحب الذي يكنه لابن إسحاق الذي يعتبره أفضل شخص في هذه الحياة بالنسبة للشاعر، وكذلك يوظف في البيت الثالث ثلاثة عناصر من الطبيعة : (الصبح ، الليل، الضياء) ووظف عنصرين متناقضين وهما (الصبح) من جانب و (الليل) من جانب آخر، مما زاد هذا المعنى ، كما يدل كل من الصبح و الضياء على النور و الوضوح و التجلي ، وهو يخاطب الذين يملكون بصرا كيف لا يرون ببصرهم ممدوحه ، وهو يمثل الضياء، ومن جهة أخرى يوظف "الليل" الذي يمثل التستر و الاختباء، ليبين من خلال هذا التصوير للمتناقضات، أنّ في الحياة صراع بين الخير الذي يمثله الصبح و الضياء و بين الشر الذي يمثله الليل والظلام، وفي البيت صورة تشبيهية مبنية على طرفين أصلهما من الطبيعة ، ولكل عنصر في توظيفه معنى دالا يريد الشاعر أن يوصله، لذلك « ... **فإنّ العملية الشعرية الإبداعية تُغير من طبائع الأشياء الداخلة في القصيدة ...**» (**عبد القادر الرباعي ، الأردن ، 2009، ص 159**)، وبالفعل فإن العنصر تكون له دلالة حينما يكون منفردا ولكن حين يُوظف في السّياق تصبح له دلالة أخرى، كما تتعدّد دلالاته أيضا؛ لأن لتّوظيف هذه العناصر دورا كبيرا في إبراز دور البيت وأهميته في القصيدة ويبقى الشاعر مع عناصر الطبيعة التي تمكنه من الوصف والرسم للوصول من خلالها إلى غاياته الظاهرة في الحقيقة حين يقول : (**محمد خدّاش، مصر، 2013 م، ص 397**)

. جَلا اللَّوْنُ عن لونٍ هَدَى كلَّ مسلكٍ ... كمَا انجابَ عن ضَوْءِ النهارِ ضَبا بُ

. وَ إنّ لَنَجْمٌ تَهْتَدي صُحبَتــي بِهِ ... إذا حالَ من دُ ونِ النُّجُومِ سَحـا بُ

ونلاحظ التوظيف المتعدد و المتكرر لعناصر الطبيعة ، فهو يوظف في البيت الأول خمسة عناصر وهي : (اللون ، مسلك ، ضوء ، النهار، ضباب) ، مما يثير انتباه المتلقي في توظيف هذا العدد من العناصر الموحية و الدّالة، مع تناقضها مصاحبة للمعنى، فهو يرسم لوحتين واحدة تمثل البياض والثانية تمثل السواد، وكلاّ منهما لوحة مبنية على الوضوح الذي تمثله العناصر التالية "ضوء ، نجوم ، النهار" ، و التضليل الذي يمثله "الضباب و السحاب" ، إلا أن الشاعر يغلّب العناصر الدالة على الوضوح، لأن

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الخير دائما ينتصر في آخر المطاف على الشرّ كما انتصر الشاعر على حسّاده،لأنه نجم ليس كباقي النجوم فبرغم الضباب الذي أراد أن يحجبه ، إلاّ أنه يبقى بارزا ليرشد و يكشف وهنا يظهر دور الشاعر في ذلك العصر و يزيد في إيضاح الدلالة ، وفي إبراز مكانته هو كإنسان و كشاعر في هذا البيت حين يقول :

– وَأصْدَى فلا أُبْدي إلى الماءِ حَاجَةً ... وَ للشَّمسِ فوقَ اليَعمَلاتِ لُعَابُ

ويُبرز الشاعر من خلال توظيفه (للماء و الشمس) قوته و صبره و مقدرته على التحمّل ، ورغم أهمية العنصرين ، إلاّ أن الشاعر لا يهتم بهما، ولا يبالي بالماء رغم أشعة الشمس، وكأنّ الشاعر يتحدى عناصر الطبيعة ويقاوم ليبقى قويا؛ لأنه تفوق على العنصرين (الماء و الشمس)، و يوظف عناصر أخرى ليظهر من خلالها أنه متأمّل واصف محذّر ، و هذا التحذير يريد من خلاله أن يبعث اليقظة في نفوس الغافلين ، الذين لم يجربوا تقلبات الزّمان ولا يعرفوا حقيقة الأشياء التي يتعاملون معها ، فهو ينذرهم في هذه الأبيات موظفا عناصر الطبيعة كي يتوصل إلى تصوير تمثيلي حين يقول : (**محمد خدّاش، مصر، 2013 م، ص 398**)

– هُوَ البَحْرُ غُصْ فِيهِ إذا كانَ ساكنًا ... على الدُّرِّ وَاحْذَرْهُ إذا كان مُزْبِـدَا

– فَإنِّي رَأيتُ البَحرَ يَعثُرُ بِالفتَـى ... وَهذَا الذي يأتي الفتى مُتَعَمِّـدَا

– وَصُولٌ إلى المَسْتَصْعَبَاتِ بِخَيلِـهِ ... فَلَوْ كانَ قَـرْنُ الشَّمسِ لأوْرَدَا

يوظف الشاعر في هذه الأبيات مجموعة من الكلمات ، وهي : (البحر ، الدّر ، قرن الشمس ،ماء) ، ويركّز على (البحر) الذي يشبّه به "سيف الدولة"، كما يحذّر الراكب أو المتقدّم من " سيف الدولة "، لأن هذا الراكب إذا لم يتخذ الحذر و الحيطة في التعامل مثل "سيف الدولة " ؛ لأن " سيف الدولة" يمثل (البحر) عند الشاعر، لذلك فهو يحذّر أيّ شخص يريد أن يتعامل مع " سيف الدولة

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

"،إلاّ أنّ الفرق بينهما هو أن " سيف الدولة " يضر و يُهلك عن قصد و عمد ، أما البحر فيهلك عن غير قصد أو غير متعمد .

كما يوصل ممدوحه إلى المستحيل بتوظيف عبارتين هما : (قرن الشمس ،و الماء) ليجعل ممدوحه يصل إلى غايته وهي "قرن الشمس"، ليسقي منها خيله وهذا يدل على أن " سيف الدولة " يصل إلى الغايات الصعبة، بل المستحلية على الآخرين،ومن خلال العبارتين تظهر قيمة ومكانة " الممدوح" عند الشاعر و لكن يبقى السؤال مطروحا ، هل هذه المكانة التي وُضع فيها الممدوح كانت بدافع الحبّ الحقيقي من الشاعر ، أو بدافع الغاية و المصالح، لتبقى هذه الصور رغم ما فيها من مبالغة تمثل تفرّد " المتنبي" كشاعر كبير،ول ‹‹...**تُسهم دائما في التعبير عن رؤية الشاعر للواقع،فتصوّر مشاعره وأفكاره تحمل أصالته ...**›› (**علي الغريب محمد الشناوي ، 2003، ص 20**) ، والأصالة و التفردّ ليس بغريبتين عن شاعر عاش الحياة وعايش تجاربها حلوها و مرها . إذ دخل القصور و جالس الأمراء و الملوك و خاطبهم، وهذه من مميزات "المتنبي " مما جعل شعره يأخذ طابع التميز و التفردّ لما فيه من التصوير الفني الراقي و الأبعاد الدلالية العميقة المتعددة ،وكدارسين نقول : و لا نجزم في مثل هذه الحالات،بأن الشاعر يدفعه إلى هذا التصوير الخيالي حبّ مبطن بغايات و ليست غاية واحدة ، التي تؤرق الشاعر، وفي سبيل تحقيقها يصور ممدوحه و يُظهره في صور تفوق الخيّال في، ورغم ذلك تبقى الإجابة عن هذا السؤال في بطن الشاعر .

كما أننا نلاحظ أنّ الشاعر لا يمكن أن يستغني عن هذه العناصر لرسم صوره و التي من شأنها أن تقدّم الإضافة لشعره ، رغم أن شعره جلّه إن لم نقل كله له قيمة و جودة عالية من جميع الجوانب (الصوتية و البلاغية و الدلالية) ، مما يعطي لأبياته وقعا جديدا بفضل ابتكار الصور التي تزيد في تعدّد المعاني و الدلائل ؛ لأن‹‹ **الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة هي الصورة في معناها الجزئي و الكلي ، فما التجربة الشعرية كلها إلا صورة كبيرة ذات أجزاء ، هي بدورها صورة جزئية ، تقوم من الصورة الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحدث الأساسي ...** › (**محمد غنيمي هلال القاهرة، 1979 ، ص 417**)' ورسم هذه الصورة ليس بالأمر الغريب على شاعر يمتلك كلّ الأدوات الشعرية

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

و الأدبية، زيادة على العديد من التجارب التي خاض غمارها في حياته الخاصة و العامة و التي ساعدته في توليد الأشعار المؤثرة في المتلقي، مما تجعله يعايش تقلب أحوال الشاعر،ومشاعره ؛ لأن الشعر الحقيقي هو الذي ينقلك من حالة الجمود إلى حالة التفاعل، لأن من أهداف الشاعر،هو الوصول إلى قلوب المتلقين ومعايشتهم لتجربته، كي يزيد من حيوية المتلقي و الوصول إلى إحساسه .

فيجعل للشمس قرنا ، و القرن جزء من الحيوان ، فتصير الشمس بمثابة الحيوان وهذا القرن يجعله في حدّ ذاته ماء، وهذه الازدواجية في التصوير كفيلة بأن تعطي أبعادا جديدة من شأنها أن تتعب المتلقي في مطاردة المعنى، و إبراز الدلالة المرجوة من ذلك، وهذه الازدواجية قد تكون دليلا على الانشطار الوجداني الذي ينتاب الشاعر ليجعله منقسما بين الأنا و الآخر، وهذا ما يزيد الدلالة عمقا، فالشاعر في كثير من الأحوال يتأزم به الوضع النفسي، وهذا الأخير يتّحد مع الأوضاع المحيطة بالشاعر فيصل إلى حالة الثورة، حينها وكأنه يرمم نفسه، ليبني ذاته من جديد، وبالفعل يتفوق الشاعر على كلّ الظروف ليبدع ويأتي بالجديد المؤثّر ، خاصة حين تجد ذاته الأسباب الكافية، وأيضا المشجعة على الإبداع، كما تدل ‹‹ **على التناقض الوجداني الذي يشطر ذات الشاعر إلى أحاسيس متناقضة ... ›› (عمر محمد طالب ، سوريا ،2000،ص 185)** ، وهذا الانشطار و التناقض نرى الشاعر أُرغم على المضي في مساره واختلطت الحقيقة بالخيال؛ لأن الشاعر بخياله الفني جعل المتلقي يعيش الحالة الشعورية دون النظر أو التمييز بين الواقع و الخيال .

وهذه ميزة الشعراء الكبار؛لأن بإمكانهم إلغاء الفواصل و الحدود بين الواقع و الخيال حتى يصيرا لحمة واحدة، مما يجعل المتلقي لا يلتفت إلى مصدر الصورة، وإنما يغوص في أعماقها، لأنها أحاطت به و قيدته بسحرها و روعتها، لذلك لم يعد يعنيه مصدرها بقدر ما يعنيه ما أضفته من بناء دلالي وفني وجمالي ، و في هذه الناحية ‹‹ **يخيل إلينا أنّ الشاعر حاول أن يتقصّي ، و أن ينفذ إلى ما دون الأشياء ، وما وراءها و نفذ فعلا إلى شيء من ذلك ... ›› (إيليا الحاوي ،ص 45)**

و بالفعل فالشاعر عرف كيف ينفذ من خلال توظيف عناصر الطبيعة ، و التي وجد فيها ملاذا ، وعرف أنّ بإمكانه أن يوظفها في السياقات الملائمة لتساعده كي ينفذ إلى النقاط التي كان يسعى

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

للوصول إليها ، ولكن ليس من السّهل الوصول إليها إن لم يُوظف هذه العناصر بالذات التي مزج من خلالها الواقع بالخيال، لتظهر صوره دالة ومؤثرة كما في قوله : (**محمد خدّاش ،ص 175**)

– أَرَى القمَرَ ابنُ الشَّمسِ قَد لَبسَ العُلاَ ... رُويْك حتَّى يَلبَسَ الشَّعرُ الخدُّ

و في هذا البيت إجابة على أن الشاعر استطاع فعلا من خلال هذه العناصر (القمر الشمس ، العلا) أن يضع أمامنا جملة تصويرية راقية عذبة تترك المتأمّل يغوص في خباياها، و يبحث بين أجزائها الدقيقة، علّه يعرف السّرّ في بنائها، كما نجد الشاعر يركزّ على التشبيهات ليكمل مساره الوصفي فيشبه ممدوحه بالقمر، ويشبّه أبا الممدوح بالشمس فالممدوح استمد المجد والعلا من أبيه ،كما استمدّ القمر نوره من الشمس و رغم أن الممدوح لم يكن هو مصدر المجد ، لكنّه تولىّ مهمة الحكم رغم صغر سنه ،كما حافظ على هذا الحكم، وصار في نظر الشاعر قمرا يستمد قوته من الشمس التي تمثل أباه، و الشاعر يعبّر من خلال العنصرين (القمر و الشمس) على زرع الطمأنينة و السكينة عند ظهورهما ، لذلك وجد هما الشاعر مناسبين لتمثيل الملوك أفضل تمثيل ،لذلك تبقى الصور الوصفية « ... **ركيزة أساسية من ركائز العمل الأدبي، فهي تمثل جوهر الشعر، و أهم وسائط الشاعر في نقل تجربته و التعبير عن واقعه** » (**على الغريب محمد الشناوي** : ،**ص 17**)

وهذا ما جاء في شعر " المتنبي " فهو عبّر عن ذاك العصر من خلال أبياته الملونة بهذه الصور و العناصر المنتمية إلى الطبيعة و التي استعان بها، ومنها "الماء : الدال على الحياة" ، "القمر الدال على العلوم و الضياء"، "البحر : الدّال على العظمة" و " الشمس الدالة على النورو"الدفء" و"النجوم: الدالة على الوضوح والتجلي"، و "الضياء الدّال على الأمل" ، " الليل : الدال على الظلام " ، "النهار : الدّال على الوضوح والاطمئنان "، و" السّماء : الدالة على العلو والارتفاع "، وإنّ هذه الدلالات البسيطة التي أسندناها إلى عناصر الطبيعة هي مجرّد دلالات سطحية ، و لكن عند التعمّق في دلالة كل عنصر سنجد أنّ له دلالات أبعد و أعمق و خاصة عندما تُوظّف هذه العناصر من طرف شاعر كالمتني ، و التركيز على عناصر بعينها ،هذا في حدّ ذاته يحمل دلالات لدى الشاعر، وهذا ما نجده واضحا في المكونات الطبيعة، وهذا ما نجده في البيتين حين يقول : (**محمد خدّاش ،ص 161**)

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

. فَجئنَاكَ دُون الشَّمسِ والبدرِ في النَّوى... وَ دُونك في أحْوالِك الشَّمسُ والبدرُ

.كَأنّكَ بَرْدُ الماءِ لا عيشَ دُونــــهُ ...وَ لوكُنتَ بَردَ الماءِ لم يَكُنِ العُشـرُ

يبيّن الشاعر من خلال عنصري (الشمس و القمر) مكانة الشخص الذي يخاطبه و يجعل بين هذا الشخص و العنصرين المذكورين مقارنة ، و يقول : أنت أعلى منهما مرتبة،فالشاعر لا يقوم بالتشبيه في هذه الحالة ، وإنّما تجاوز مرحلة التشابه، إلى مرحلة المفاضلة،فصار الممدوح أفضل مكانة من الشمس، ويبقى الشعر مجالا مفتوحا عند الشعراء يصفون و يشبهون ليصنعوا من خلال الوصف و التشبيه دلالات، وهذه الدلالات تكون قيمة جودتها بقيمة حسن توظيف الألفاظ؛ لأنّ « **النّص الشعري هو الفضاء الذي تعوم فيه دلالة اللفظ ، و يصنع فيه المعنى، بما يعنيه من توحّد لصالح التعدّد و التنوع والغموض** »(**جمال حضري ،ص 334**)، و ينتقل الشاعر إلى عنصر"الماء"، فيُوظّفه مرتين في البيت نفسه وهذا يدّل على أن له مكانة في الطبيعة، وفي حياتنا، لأنه يمثل الحياة في معناها الحقيقي وكذلك من حيث الصفاء و النقاء اللذين يتمتع بهما كسائل لا لون له، وهذا ما يزيد في نقائه ، حين يمثّل ممدوحه جاعلا إيّاه بمثابة الماء الذي لا يمكن الاستغناء عنه، و لا يمكن أن نعيش من دونه، و لكن الشاعر يجعل ممدوحه يماثل (الماء) في الأهمية فيصير الممدوح يمتلك مواصفات هذا السائل لذلك لا يمكن للشاعر أن يعيش من دون الممدوح وهذا الكلام فيه من الغلو الكثير ،لأن الشاعر جعل حياته مرهونة بوجود ممدوحه ، حين يقول : (**محمد خدّاش ،ص 161**)

. كَأنّكَ بَرْدُ الماءِ لا عيش دُونهُ... وَ لو كُنتَ بَرْدَ الماءِ لم يَكُنِ العُشرُ

ومن خلال البيت نلاحظ بأن توظيف (الماء)، لم يكن توظيفا كاملا وعامًّا؛ لأن الشاعر شبه ممدوحه بالماء في صفات معينة، لذلك أتى بأداة التشبيه (كأنّك) ووجه المقارنة بينهما كانت في المضمون ، و ليس في الوصف، ولو كانت المقارنة في جانب الوصف لقبلنا هذه المقارنة ، لكن حينما وصلت إلى المضمون ، فإننا لا نقبل هذا التشبيه المبالغ فيه، وما الممدوح إلا إنسانا لا يمكن أن يمتلك أمر الحياة أو الموت ، و رغم ما في الأبيات من أشياء غير مقبولة،إلاّ أن الشاعر وظّف هذه العناصر من

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أجل أغراض خاصّة ، وقد نجح في حسن الاختيار والتوظيف ، و براعة التصوير، لأنه وظف كلّ العناصر ،لبثّ رسائله التي أدت الغرض الذي أراده ، ليُقنع من خلالها ممدوحه بأنه فعلا على هذه الشاكلة ، وعلى الصورة التي وضعه فيها، وبهذه الصفات يرضى الممدوح و يُعجب بالشاعر، و يعطيه مقابل هذا المدح، ما يحلم به الشاعر ،وحُق له ذلك ؛ لأنّه أجاد في اختيار الألفاظ وتفنن في رسم اللوحات الفنية، **« إذ ليس هناك فرق بين البليغ ، و الرسّام إلاّ أن لوحات هذا يتناول المسموع من الكلام ، وذلك يشارك المرئي من الألوان و الأشكال ... »(على الجارم و مصطفى أمين القاهرة، 2004، ص 18)** ، وذلك في صور أخرى يختار عناصر جديدة من الطبيعة كي يُظهر صوره في أجمل هيئة حين يقول : (**محمد خدّاش ،ص 233**)

– بَنَا مِنكَ فَوقَ الرَّملِ مَا بك فِي الرَّملِ ... وهذا الذي يُضْني كذاك الَّذي يُبلِي

. تَبُلُّ الثَّرى سودًا من المِسكِ وَحدَه ... وقد قطَرَتْ حُمرًا على الشَّعَرِ الجَثْلِ

. بَدا وَلهُ وَعْدُ السَّحابَةِ بالـرّوَى ... وَصَـدَّ وَفِينَـا غُلّـةُ البَلَدِ المَحْلِ

وتأتي في هذه الأبيات عناصر جديدة لم نتطرق إليها ، وكان الشاعر في الأبيات السابقة قد قام بتوظيف بعض العناصر عدّة مرّات ،وما نراه يعود لسببين ، الأوّل:لأهمية هذه العناصر ومنها (الماء، القمر ، الشمس) بالنسبة لنا في حياتنا ، فهي مصدر حياتنا ، لذلك تكون أهميتها في التوظيف الشعرية وأكيدة ،والثاني : دعوة السّياق ليجعل الشاعر يوظف هذه العناصر بتوظيفات متنوعة و متكرّرة ، ورغم ذلك فإن جلّ عناصر الطبيعة يبقى الشاعر في حاجة ماسة إليها ، لأنها جزء من حياتهما و حياتنا ، فنجد الشاعر يجد فيها ملاذا، وهذا ما لاحظناه في شعر المتنبي وأشكال صوره.

كما نجد في هذه الأبيات الشاعر قد نزل إلى الأرض، فلامس (الرمل و الثرى) بعدما كان في الفضاء يغازل (الشمس و القمر و السمّاء) مرتويا بالماء ، وما إن يعود إلى الأرض حتى نراه يعانق (السّحابة) ، وهذا الانتقال السّريع جاء وليد نزعات نفسية تعتري الشاعر ، لذا لا نجده يثبت على حال واحدة ، ففي بعض الحالات يُوظّف عناصر من الطّبيعة كي يمدح أو يعاتب، وفي هذه الأبيات

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

نجده يُوظف عناصر من الطّبيعة كي يرثي، وهذا الانتقال من شأنه أن يقدّم للشاعر شحنات إضافية تزيد من براعته و تدفعه لرسم أعذب الصور ، وتقديم أدّق الإيحاءات و أبعد الدلالات التي يرمي إليها وتأخذ أشكالا متعدّدة حينما يكون المسار إليها مضمنا العناصر التي تنتمي إلى الطبيعة .

فالشاعر مطالب بتوظيف الألفاظ التي يمكن من خلالها أن يصنع الجمال الذي يُدهش المتلقي ، و يثير مشاعره ليتفاعل هذا الأخير مع النصّ الشعري تفاعلا كليا ، لأن« ...**في العمل الفني نجد أنفسنا حيال المطلق الممثل بالمحدود لكن المطلق المقدّم هو الجمال** »(**صلاح فضل مصر، 1996، ص 68**) ، وهذا ما يسعى للوصول إليه أيّ شاعر ، فالجمال الذي يطفو على النصّ هو الربط الوثيق الذي يشدّ المتلقي ذهنيا ووجدانيا ، وهكذا فإنّ " المتنبي " يتركنا نغوصُ في أبياته لأنها تدهشنا ببنائها الفني و نسيجها المحكم بارتكاز الشاعر على الألفاظ الموحية ، و إن كرّر ألفاظا بعينها ، ففي تكرارها إلحاح و تأكيد في هذا البيت حين يقول : (**محمد خدّاش ،ص 233**)

. بَنا مِنكَ فوق الرَّملِ مَا بِك فِي الرَّملِ ... وَهذا الذِي يُضنِي كَذاكَ الذِي يُبلِي

و يوظف الشّاعر لفظة (الرّمل) مرتين في مطلع القصيدة ،ليُظهر حقيقة الحزن الذي يملأ كيان الشاعر ، ومن خلال هذه اللفظة يمنح الشاعر للموت موضعين ، موت تحت الرمل الذي يوجهه للمرثي ، وموت فوق الرمل الذي يوجهه للشاعر و أمّا أهل المرثي فهم موتى حزنا على من فقدوا ، وهنا حوار بين الحقيقة و المجاز .

و يبقى الشاعر مع أنينه الذي تُظهره الألفاظ الموظفة وهي : (الرمل ، الرمل الثرى، المسك ، السّحابة) ، ولكل واحد حالته الخاصة في مواجهة حالة الموت ، فمنهم من يواجهها بالعبرات ، و منهم من يواجهها بالأنين و الزفرات ، ومنهم كمثل الشاعر يواجهها بهذه الأبيات المشحونة بالأسى، كما يواصل الشاعر توظيف عناصر الطبيعة ،فيوظف لفظة "السّحابة"، عندما يُشبّه المرثي بها، فتعد و توفي بالوعد لأصحابها المترقبين قدومها لتُنزل مطرا غزيرا، ولكن في أحيان أخرى تُعرض عن هذا العمل فيبقى أصحابها في انتظارها ، لكن المرثي إعراضه هذه المرة كان نهائيا بمفارقته للحياة ولا أمل للشاعر من وراء

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ذلك ، وكانت إطلالة المرثي تحمل دائما الخير للشاعر ، فذهب هذا الخير بذهاب المرثي، والعطاء توقف عن التدفق ، لأن قلب صاحبه توقف عن النبض لينتهي أمل الشاعر و يتبخّر، ولا ينتظر بعد ذلك إطلالة جديدة، ومن خلال ما قُدم من صور ومعالجتنا وجدنا فيه موقعا بين الأمل والخيبة ، ووجدنا في كل توقف أملا جديدا أو خيبة مسعى ، وبين هذا وذاك يبقى الشاعر متنقّلا فمرّة يحزن و مرّة يجمع بين الفرح والحزن .

قائمة المصادر والمراجع:

أولا / المصادر:

1- ديوان المتنبي: تحقيق محمد خدّاش،دار الغد الجديد،ط1، مصر، 2013م.

ثانيا/ المراجع:

2 – إيليا الحاوي : في النقد و الأدب، دار الكتاب، ط1، بيروت، لبنان، 1980م.

3 – جمال حضري: ظاهرة الانزياح في شعر صلاح عبد الصبور.

4 . عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في النقد الشعري، دار جريرللنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2009م.

5 . علي الغريب ومحمد الشناوي: الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، مكتبة الآداب ط1،2003م.

6 . محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر ، القاهرة، مصر، 1979م.

7 –عمر محمد طالب : عزف على وتر النص الشعري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000م.

8 – صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النّصِ، دار توبقال للطباعة، ط1، القاهرة، مصر، 1996م.

9–على الجارم و مصطفى أمين : البلاغة الواضحة" البيان، والمعاني، والبديع"، الدار المصرية والسعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

تنظيم مجلس الوزراء بالأندلس في العهد الأموي

(138هـ-422م/756-1031م)

د. وهراني قدور -جامعة تلمسان-

د.بحري أحمد -جامعة وهران 1-

- الجزائر -

الملخص:

يُعتبر مجلس الوزراء أرقى ما توصل اليه التنظيم الإداري والسياسي الأندلسي في العصر الوسيط، وكان هذا نتيجة التعددية الوزارية الذي عرفتها الدولة الأموية بشبه الجزيرة الإبيرية، وقد أدى هذا النظام إلى استحداث إجراءات خاصة متعلقة بتنظيم الاجتماعات وكيفية جلوس الأمير والحاجب، مراتب الوزراء وطرق الدخول والانصراف، وبداية ونهاية الاجتماعات.

الكلمات المفتاحية: المجلس -الأمير -الوزير -الخليفة -الحاجب.

The Organization of the Council of Ministers in Umayyad Andalus

422-138AH / 756-1031 AD

Dr. Ouahrani Kaddour - University of Tlemcen-

Dr. Bahri Ahmed - University of Oran 1

ALGERIA

ABSTRACT :

The Council of Ministers was the pinnacle of the administrative system in al-Andalus. It was a result of the multitude of ministries that existed in Umayyad Iberia. Special procedures governed the social

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

organization, seating, entrance, and exit of the ministers along with the amir and chamberlain.

Key Words: council, prince, minister, caliph, chamberlain

يُركّز الباحثون عند الحديث عن الحجابة بالأندلس على نوع معين منها وهو "حجابة الحاكم عن الخاصة" (البيلي، 1988، ص119)، فرغم أنّ "حجابة الحاكم عن العامة" كانت امتداداً للحجابة بالمشرق، وكانت سباقةً للظهور بالأندلس، فإن حجابة الحاكم عن الخاصة هو ابتكار أندلسي محض، وقد كانت البداية الحقيقية لهذا النوع من الحجابة مع ظهور الوزارة وتعدّدها، وانفراد كل وزير بمهمة خاصة، ويحدّد "المقري" مكانة الحاجب بين الوزراء قائلاً: «أما قاعدة الوزراء بالأندلس، فإنّها كانت في مدّة بني أمية مشتركة في جماعة يُعَيِّنُهُمْ صاحب الدولة للإعانة والمشاورة، ويختار منهم شخصاً لمكان النائب، فيسميه بالحاجب».(المقري، 1988،ص216)

لم تظهر الوزارة في الأندلس إلا في عهد "عبد الرحمن الأوسط" مما يرجّح فرضية ظهور هذا النوع من الحجابة مقترنة مع ظهور الوزارة.

وينسب "ابن الأبار" إلى هذا الأمير الفضل في إنشاء نظام حكومي متكامل مما زاد من الارتقاء بالدولة إلى مصاف الدول العُظمى في ذلك العصر، فوضع هيكلاً إدارياً اعتمد على نظام تعدّد الوزراء والذي يعتبر الحاجب رأسه المدبّر، حيث يقول: «عبد الرحمن الأوسط هو الذي استكمل فخامة الملك بالأندلس، وكسا الخلافة أبهة وجلالة، وظهر في أيامه الوزراء والقواد وأهل الكور». (ابن الابار، 1985، ص113، 114)

ويرجع "عبد الواحد المراكشي"بداية الاحتجاب إلى عهد "عبد الرحمن بن الحكم"، ويدل ذلك دلالة واضحة على بداية هذا نوع جديد من الحجابة في عصره، فقد نسب له هذا المؤرخ «ترتيب رسوم المملكة، والاحتجاب عن العامة». (المراكشي، 1963، ص48)

والأمر المؤكّد أنّ الاحتجاب كان معروفاً عند أسلافه، لكنّه في عهده أخذ معنى جديداً، وذلك ما جعل أكثر المؤرّخين ينسب إليه إنشاءه وابتكاره.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وبهذا ظهر نوع جديد من الحجابة يختلف كل الاختلاف عن ذلك الذي ساد في المشرق وفي بداية عصر الإمارة في الأندلس حتى نهاية إمارة "الحكم الربضي"، حيث صارت مهمة الحاجب زيادة على تنظيم الدخول على الأمير التكفل برئاسة الوزراء، وتولي مهام عسكرية وإدارية جنباً إلى جنب مع موظفيه.

وما زاد من وضوح طريقة عمل الحاجب هو تأسيس مجلس للوزراء يشرف من خلاله على مختلف أمور الدولة، ويقدم تقاريره للأمير بعد أن يلتقي بالوزراء ويسمع منهم (provencal, 1953. P18). ويسمي "ابن خلدون" هذا النوع من الحِجَاب بالنوع الثاني، ويأتي نتيجة استفحال الملك، «فيقيم الحاكم على بابه حِجاباً يفصله عن العامة والخاصة» (ابن خلدون،1982،ص515).

كان "عبد الرحمن الأوسط" أول من اتّخذ للوزراء بيتا يجتمعون فيه، ورتَّب اختلافهم إليه، للتَّكلم معهم ومشاورتهم في أمور الدولة (ابن القوطية،1989، ص77)، يستدعيهم في كل يوم أو من يختص منهم (ابن سعيد،1963، ص46-بروفانسال،1967، ص207)، أو يخاطبهم برقاع فيما يراه من أمور الدولة (ابن سعيد،1963، ص46).

كان الحاجب يتقدَّم على الوزراء في السَّلام على الأمير عند الدخول إلى المجلس، ثم يليه باقي الوزراء (ابن حيان، 1973، ص27)، ويكون ذلك إشارة لبداية الاجتماع، أما سُكوت الأمير فمعناه اختتام مجلس الوزراء، وعليه يجب القيام.

قضت رسوم بني أمية بالأندلس أن يكون الحاجب أول المتكلّمين من الوزراء في المجلس، وهو المُمَثِّل لهم والمتحدث باسمهم إذا أرادوا قضاء حاجة، فقد حدث يوماً أن اتّفق الوزيران "هاشم بن عبد العزيز" و"تمام بن عامر بن علقمة" (بالنثيا، د.ت، ص55) مع الحاجب "عيسى بن الحسن بن أبي عبدة" على مفاتحة الأمير "محمد بن عبد الرحمن" في أمر يخُصُّهم في آخر المجلس على أن يضمنُوا له إتمام الحديث بعد أن يفتتح هو القول، فقال الوزراء: «أنت الحاجب المتقدم لنا، وعليك البيان للأمير دوننا، ونحن نقفوا قولك ونشيعه بذكر اجتماعنا معك عليه، فإذا كان آخر المجلس فابتدئه بالقول، فسوف نكفيك تمامه، ونتناول آخره بما تعقد به أوله»، فأجابهم الحاجب لذلك وتقدَّم في نهاية

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المجلس إلى الأمير وطلب الإذن منه ليفاتحه في الموضوع، فلما أقبل عليه نهض الوزراء وغادروا المجلس ففطن الحاجب لمكيدتهم ورغبتهم في توريطه فاستعمل ذكاءه للتخلص من الورطة (ابن حيان، 1973، ص152،153).

وكان لكلٍّ عضو من أعضاء المجلس "دسَّه"(وسادة) يقعُد عليها، فيخضع ارتفاعها عن الأرض لعدة مقاييس، ففراش الحاجب أرفع من فراش بقية الوزراء، ويختلف في كونه من الديباج (ابن بسام،1975، ص59)، ويختلف الوزراء أيضاً في درجة ارتفاع فرشهم حسب أهمية الوزارة أو لاعتبارات النسب، ولا يُمكن أن يُخِلَّ أحد بهذا النظام.

وكان لارتفاع الفرش ونوعه معاني كثيرة، فالحاجب هو الأعلى مرتبة في الدولة بعد الأمير لذلك يجب أن يكون فرشه أعلى وأغلى، ويليه بعد ذلك الوزراء وباقي أعضاء الإدارة الأندلسية حسب النسب أو أهمية الوزارة، فقد أراد الوزير "عيسى بن أبي عبدة" أن يكون مجلسه أعلى من مجلس الوزير "موسى بن حدير" في حضرة الأمير "عبد الله بن محمد"، خلافا لما كان قد رتَّبه والده الأمير "محمد بن عبد الرحمن" من رفع الموالي الشاميين على البلديين، حيث كان "بنو حدير" من موالي البيت الأموي المشرقي لهذا كانوا معدودين في الشاميين، أما "بنو أبي عبدة" فكانوا موالي "مُغيث" الرومي مولى "الوليد بن عبد الملك" لهذا فقد كانوا معدودين في البلديين، ورغم أنّ والد "عيسى" وهو" أحمد بن أبي عبدة" كان من أكبر قواد الأمير "عبد الله" وكان صاحب الفضل في إنقاذ الإمارة من الضياع فقد فضَّل الأمير "عبد الله" التشدد في تطبيق تقاليد الجلوس المتعوَّد عليها من قبل وعدم إعطاء الاعتبار لأي شيء آخر، وقال: (ابن بسام، 1975، ص59)

مَوَالِي قُرَيْشٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَدِّمُوا مَوَالِي قُرَيْشٍ لاَ مَوَالِي مُعَتَّبِ

إِذَا كَانَ مَـــوْلاَنَا يُسَاوِمُ عِنْدَنَا سِـــوَاهُ فَمَوْلاَنَا كآخَرٍ أَجْنَبِي.

ويمكن أن يحضر بعض موظِّفي الإدارة الأندلسية جلسات مجلس الوزراء كضيوف شرف، فبعد أن عيَّن الخليفة "عبد الرحمن الناصر" "محمد بن عبد الله بن أبي عيسى" في منصب قاضي الجماعة في

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

منتصف شهر رجب 328هـ/ 940م، وطلب منه حضور المجلس دون أن يطلق عليه لقب وزير (عياض، 1986، ص96).

وقد غيَّر الحاجب "جعفر المصحفي" بعض تقاليد هذا المجلس بمساواة بينه وبين الوزراء في نوع الفراش ومستوى الجلوس، فقد أبدل فراشه بالكتان بدل الديباج ممُاثلا في ذلك لفراش الوزراء الذي كان بالكتان أيضاً، حيث قال: «أستحي من أصحابي أن أتمهَّد أكثر منهم مع عجزي على إدراك شأوهم، غير أناَّ نسلم لأمير المؤمنين اختياره، فإماَّ يُساوي بيننا في فَرْشٍ، وإما أقررنا على الأمر الأول ولا كفران لنعمته» (ابن بسام، 1975، ص59)، وكان ذلك تظاهراً منه بالتواضع لكسب مودَّة الوزراء.

وقد عُين لبيت الوزراء خادم يقوم بتنظيم فرشه، وخدمة الوزراء في مختلف الأمور التي يحتاجونها حينما يجتمعون فيه (ابن القوطية، 1989، ص133)، كما عُيِّن له كاتبٌ يقوم بتدوين القرارات التي يخرج بها المجتمعون، وقد شغل هذا المنصب زمن الدولة العامرية "ابن النصر" (الحميري،1984، ص369-الضبي، 1881، ص524) الذي شكا يوماً صُداعاً من رائحة المسك المنبعثة من بيت الوزارة، فأنشد أحد الوزراء قائلاً: (الحميري،1984، ص369-الضبي، 1881، ص524)

خَالَفَكَ المِسْكُ وَخَالَفْتَهُ فَأَنْتَ لاَشَكَّ لَهُ ضِدٌّ

أَمَاتَكَ المِسْكُ بِأَنْفَاسِهِ كَمَا أَمَاتَ الجَعْلُ الوِرْدَ

والنص لا يُشير صراحة إنْ كانت رائحة المسك التي أثَّرتْ في الكاتب دائمة في بيت الوزارة، وهل تعوَّد الخادم تطْيِيب البيت أم لا؟

وكان للتعيين في الوزارة والإقالة منها تعبير يرتبط بفرش البيت، فقد كان الكاتب "حامد الزجَّالي" قد بعث للأمير "محمد بن عبد الرحمن" كتاباً فاستحسنه، وأمر له بفراش الوزارة (ابن القوطية، 1989، ص98). كما أثار الوزير "سليمان بن وانسوس" غضب الأمير "عبد الله" لانصرافه من

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلس الوزراء دون إذن، فأمر برفع دَسَّتِه (المناوي، 1410هـ، ص337) (وسادته) (ابن الابار، 1985،ص124)، وفي ذلك إشارة لعزله عن الوزارة.

وكان الانصراف من المجلس كما ذكرنا يخضع لرسوم وتقاليد هو الآخر، وأهمها الإستئذان، فإذا انصرف أحد أعضائه دون أن يُؤذن له تعرض لعقوبة العزل، فقد رُوي أن الوزير "سليمان بن وانسوس" (ابن الابار، 1985، ص160) دخل المجلس يوماً وكان عظيم اللحية، فلما رآه الأمير "عبد الله" مقبلاً جعل يُنشد واصفاً لحيته: (ابن الابار، 1985، ص123)

هِلَّوفَـــــةٌ كَأَنَّـهَا جَوَالِـــقٌ نَكْرَاءُ لاَ بَارَكَ فِيهَا الخَالِقُ

لِلقَمْلِ في حَافَاتِـــــهَا نَفَائِقُ فِيهَا لِبَاغِي المتَّكَا مَرَافِقُ

وفي احْتِدَامِ الصَّيْفِ ظلٌّ رائقُ إن الذِي يحمِلُهَا لمَالِقُ

ثم قال له: «اجلس يا بربري!» فجلس وقد غضب فقال: «أيها الأمير! إنما كان الناس يرغبون في هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم، وأما إذا صارت جالبة للذُّلِّ فغنينا عنكم، فإن حُلتم ببيننا وبينها فلنا دور تسعنا، لا تقدرون أن تحولوا بيننا وبينها» (ابن الابار، 1985، ص123). ثم وضع يده في الأرض وقام من غير أن يُسلم، ونهض إلى منزله فغضب الأمير وأمر بعزله ورفع دسته، الذي كان يجلس عليها (ابن الابار، 1985، ص160).

وكانت تُناقش في هذا المجلس أمور مختلفة في الحرب والسلم منها ميزانية المغازي والحروب، فقد اشترط الوزير "محمد بن أبي عامر" على مجلس الوزراء المجتمع سنة (366هـ/977م) والذي تَرَأَّسَهُ الحاجب "جعفر بن عثمان المصحفي" مبلغ مائة ألف دينار لتجهيز الجيش للخروج لصدِّ عدوان المسيحيين على الأندلس، فاستكثرها أحد الحاضرين، فما كان من "ابن أبي عامر" إلا أن اقترح عليه ضِعْفَهَا على أن يخرج هو على رأس الجيش (ابن عذارى، د.ت، ص394).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وكان الأمير "عبد الله بن محمد" كثير الاجتماع بوزرائه نظراً لأنّ أيامه كانت أيام فتنةٍ، فإذا انقضى خَوْضُهُ معهم في الرأي والتدبير، لأسباب مملكته وما كان يُحاوِلُهُ من حسم علق الفتنة خاض معهم في الأخبار والعلوم، فقد كان هذا الأمير عارفاً بضروب العلوم، بصيراً بلغات العرب، فصيح اللسان، حَسَن البيان (ابن عذارى، د.ت، ص229).

ويمكن أن تناقش في المجلس بعض قضايا القضاء، فقد كلَّف الأمير "محمد" مجلس الوزراء بالتحقيق في قضية بطاقة رُفعت إلى الأمير كُتب فيها: «إنّ "سليمان بن الأسود" (الخشني، 1982، ص ص173-181) كَبُرَتْ سِنُّهُ، وَضَعُفَ بدنه، ولم يعد يقدر على القضاء» (الخشني، 1982، ص ص155-169. ص ص173-181). فبُعث للقاضي السابق "عمرو بن عبد الله" (الخشني، 1982، ص ص146-154، ص ص170-172) ليُسأل في مجلس الوزراء إن كان هو باعثها، ويُسأل "سليمان" عما يجد في بدنه من القوة على القضاء (الخشني، 1982، ص177).

وحسب التوجيهات العامة التي تصدر إليهم من الأمير تدور المناقشات بين الحاضرين في المجلس في مختلف أمور الدولة، ويتولّى الحاجب عرض ما يصدر عنهم من قرارات على الأمير في حالة عدم تمكنه من حضور الاجتماع (خلف، 2003، ص 421)، ويحول ما يوافق عليه إلى ديوانه الخاص فيصاغ صياغة ديوانية ثم يتولى الوزير صاحب العرض حملها على الأمير ليختمها بختم الدولة الرسمي، ثم يصدر في مرسوم (خلف، 2003، ص 421).

وقد تكفَّل مجلس الوزراء بمحاسبة الحاجب "جعفر بن عثمان المصحفي" وأُدخل إليه راجلاً وهو يقول: «رفقاً بي فستدرك ما تحبّه وتشتهيه، وترى ما كنت ترتجيه، ويا ليت أن الموت بيع فأغلى الله سومه، حتى يرده من أطال عليه حومه» (ابن خاقان، 2001م، ص63).

ويمكن أن تتعدى صلاحية المجلس مسألة محاسبة الحجاب أو القضاة إلى تنصيب أو عزل مثلما كان اقتراح الأمير "المنذر" استبدال "سليمان بن أسود الغافقي" بقاضي من اقتراح المجلس فوقع الاختيار على "عامر بن معاوية اللخمي" (الخشني، 1982، ص182).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وكان الأمير يُعطي الحاضرين في المجلس الحرية التامة لطرح أفكارهم وآرائهم، بل كان يستعين بهذه الأفكار كل الاستعانة، فقد بلغ الأمير "عبد الرحمن بن الحكم" ذكاء وحسن تدبير "محمد بن السليم" صاحب المدينة وأمر بتوليته الوزارة مع المدينة، فلمَّا دخل البيت صار الحاضرون كلهم تبعاً له في الرأي (ابن القوطية، 1989، ص85)، وافتقد الأمير "عبد الله بن محمد" وجود وزيره المقال "سليمان بن وانسوس" نظراً لمكانته في المجلس وأمانته وفضل رأيه، وقال: «لقد وجدْتُ لفَقْدِ "سليمان" تأثيراً، وإن أرَدْتُ استرجاعه ابتداءً منا كان ذلك غضاضة علينا، ولَوَدَدْتُ أن يبدأنا بالرغبة»، فبعث إليه مع أحد الوزراء، وكانت رُتبة الوزارة بالأندلس أن لا يقوم الوزير إلا لوزير مِثْلَهُ، فان طلب لقاءَهُ لا يحجبه لحظةً، لكنّ "سليمان" أبطأ في الإذن للوزير على غير العادة، فلما دخل وجده قاعداً ولم يتزحزح من مكانه، فأنكر عليه ذلك فقال "سليمان": «كنت عبداً مثلك، وأنا اليوم حُرٌ» (ابن الابار، 1985، ص124).

ويُلاحظ تبايُنٌ في عدد الوزراء الذين ضمَّهم المجلس فقد استوسع الأمير "عبد الله" في عددهم وأكثر منهم حتى اجتمع له في بيت الوزارة في بعض أوقاته ثلاثة عشر وزيراً، ولم يستبق منهم إلا أربعة وزراء في نهاية عهده (ابن حيان، 1979، ص06). أما "عبد الرحمن الناصر" فقد جمع في بيت الوزارة في مدّة أربعة وستين يوماً من سنة (330هـ/942م) ستّة عشر وزيراً، ولم يُعهد مثل ذلك لبني أمية (ابن حيان، المقتبس، 1979، ص486)، وقد بلغ عددهم في نهاية سنة (329هـ/941م) أربعة عشر وزيراً (ابن حيان، 1979، ص486)، وقد حدثت خلال تلك السنة حركة واسعة من التعيينات والإقالات في صفوف الوزراء، فقد عَزَلَ "الناصر لدين الله" جميع الوزراء بغتةً لسبب أنكره عليهم، وأبقى منهم اثنين فقط (ابن حيان، 1979، ص470).

وقد كان الأمير "عبد الله بن محمد" والخليفة "عبد الرحمن الناصر" يترأسان مجلس الوزراء شخصياً (ابن عذاري، د.ت، ص229) نظراً لأنّهما عطَّلاَ منصب الحاجب، والذي كان بمثابة رئيس مجلس الوزراء لذلك العصر.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وقد عَرَفَتْ مكانة مجلس الوزراء و قراراته نفس المصير الذي عرفته الخلافة، فقد بنى "واضح الصقلبي" الفتى العامري حاجب "هشام المؤيد" سنة (401هـ/ 1011م) على الخندق الذي حفر حول مدينة قرطبة مجلساً عالياً يشرف منه على البربر وسماه "الديدبان" فكان الوزراء يجلسون فيه مع الفقهاء في كل يوم يتشاورون في أمور المختلفة، فكلَّما دبروه في اليوم فسخوه في الغد (ابن عذاري، 1983، ص105).

لقد أصبح عمل الحاجب في الأندلس أكثر وضوحاً مع وجود هذا المجلس، وسهَّل من مهمة متابعة نشاط الوزراء، والأكثر من ذلك فقد كان له دور آخر على مُستوى الإدارة بصفة عامة، فكانت السجلات الرسمية والدواوين تحُفظ فيه في حالة شُغور المناصب الإدارية أثناء تغيير الموظفين إلى حين تعيين آخرين (الخشني، 1982، ص169).

كان للحاجب تأثير كبير على القرارات التي يتّخذها مجلس الوزراء، باعتباره المُوَجِّه للمناقشات والمُتَرَئِّس للجلسات، في حالة عدم حضور الأمير أو الخليفة.

المصادر:

- ابن الأبار، أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء. تحقيق: حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف. ط2، 1985. ج1.
- ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس. لبنان، تونس: الدار العربية للكتاب (1395هـ/ 1975م). ق4، مج1.
- أبو حيان ابن مروان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس. تحقيق: محمود علي مكي. بيروت: دار الكتاب العربي، 1393هـ/1973م. القطعة 02.
- أبو حيان ابن مروان، المقتبس. تحقيق: بيدرو شلميتا وآخرون. مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط. 1979. القطعة 04.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: مكتبة لبنان. ط2، 1984.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

- ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد، المقدمة. بيروت: دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1982.
- الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث، قضاة قرطبة. تحقيق: إبراهيم الأبياري. القاهرة، بيروت: دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني.1402هـ/ 1982م.
- ابن خاقان، أبو النصر الفتح، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس. تحقيق مديحة الشرقاوي. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. ط01، 1422هـ/ 2001م.
- ابن عذاري، المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب. بيروت: مكتبة صادر، د.ت. ج02.
- ابن عذاري، المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب. تحقيق: ج.س.كولان، ليفي بروفنسال. بيروت: دار الثقافة.ط3، 1983. ج3.
- عياض أبو الفضل بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق: سعيد أحمد غراب، الرباط: وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية، 1402هـ/1986م. ج6.
- الضبي، أحمد بن يحي بن محمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. مدريد: مطبعة روخس المسيحية، 1881.
- ابن القوطية الاندلسي، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989.
- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: د. شوقي ضيف. ط02، القاهرة: دار المعارف، 1963. ج01.
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، (1408هـ/1988م). ج01. ج1.
- المراكشي، عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق: الأستاذ محمد سعيد العريان. القاهرة: مطابع شركة الإعلانات الشرقية (لجنة إحياء التراث)، 1383هـ/1963م.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف ، التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: محمد رضوان الداية. بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر. ط1، 1410هـ. ج1.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المراجع:

- البيلي محمد بركات، دراسات في نظم الحكم في الدولة الإسلامية. القاهرة: دار النهضة العربية. 1408هـ/1988م.

- آنخيل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي. ترجمة: حسين مؤنس. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دت.

- خلف، سالم عبد الله، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية. 1424هـ/ 2003م.

- ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (811م-1031م)، ترجمة: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون. مدريد:Espasa Calpe.S.A. ط3، 1967.

المراجع الأجنبية:

Lévi provençal, Histoire de l`Espagne Musulmane.Tome3. Paris : Editions G.P Maisonneuve.1953.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 01 بتاريخ 2020/06/10م

ISSN: 2708-4663 **DNNLD :2020-3/1128**

الهجرة الأندلسية ودورها في التواصل الثقافي

بين مصر والأندلس خلال القرن السابع والثامن الهجريين

د عمر سي عبد القادر

جامعة تلمسان

ملخص

بعد ان سيطرة النصارى على العديد من المدن الأندلسية، فضل أهل هذه المناطق الهجرة الى معظم المناطق الإسلامية في المغرب والمشرق ومنها مصر، وضمت الهجرة الأندلسية فئات اجتماعية مختلفة وبالتالي كان لهم أثار واضحة على المناطق التي هاجروا إليها خاصة مصر.

Andalusian migration and its role in cultural communication with Egypt and Andalusia during the seventh and eighth centuries of the hijra

Summary

After the Christians controlled many Andalusian cities the people of this country preferred to emigrate to most of the Islamic regions of Maghreb and the orient including Egypt. Andalusian migration involved various groups and had implications in many fields in the areas to which they had migrated.

مقدمة

لقد عاش الأندلس منذ الفتح الإسلامي تطورات تاريخية متباينة، فبعد عصر الولاة شهد الاندلس ظهور الدولة الاموية التي تمكنت من الحفاظ على الوجود الإسلامي في كل مناطق الأندلس، الا أنه مع ضعف

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

هذه الدولة تفكك الأندلس الى عدة دويلات عرفت تاريخيا بملوك الطوائف، والتي لم تستطيع الحفاظ الوحدة السياسية للأندلس مما دفع بالنصارى الى تبني حروب الاسترداد، حيث تمكنوا من السيطرة على العديد من المدن، ورغم محاولة المرابطون و الموحدون الدفاع عن الوجود الإسلامي في الأندلس الا أن هزيمة العقاب سنة 609هـ 1212م كانت بمثابة بداية نهاية الوجود الإسلامي في الأندلس، هذه الوضعية شجعت النصارى أكثر على مواصلة التوسع على حساب الأراضي الإسلامية، وهذا ما دفع بأهل الأندلس الى الهجرة الى المناطق الأكثر أمنا سواء في بلاد المغرب أو المشرق، وكانت مصر من هذه المناطق التي لجأ إليها الكثير من الأندلسيين وقد كان لهذه الهجرة أسباب و دوافع كثيرة كما كان لها تأثير كبير على الأندلس وعلى المناطق التي هاجروا إليها.

1-دوافع الهجرة الأندلسية:

لقد كانت الهجرة الأندلسية حتمية فرضتها مجموعة من العوامل السياسية خاصة تلك المرحلة التي أعقبت سقوط الدولة الموحدية بعد هزيمة العقاب حيث فضل الكثير من الأندلسيين ترك بلادهم والانتقال إلى مناطق أخرى أكثر أمنا واستقرارا ومن أبرز دوافع الهجرة:

-حروب الاسترداد: تمكن المسلمون من السيطرة على الأندلس لفترة زمنية طويلة مع انتشار الاستقرار والتقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي إلا أن هذا الازدهار سرعان ما تراجع خاصة بعد ضعف الدولة الموحدية وانهزامها في معركة حصن العقاب (علي أحمد 1989م ص90)التي كانت بداية نهاية الوجود الإسلامي في الأندلس إضافة إلى كثرة الفتن والصراعات الداخلية مثل ثورة بني مردنيش (ابن الخطيب 2006م ص271)وثورة ابن هود الجدامي بألميرية ،وفي هذه الظروف الصعبة استغل النصارى هذا الضعف من أجل التوسع والسيطرة على المدن الأندلسية منها ماردة سنة 627هـ/1230م وقرطبة سنة 366هـ/1236م وبلنسية في عام 636هـ/ 1238م واشبيليةسنة646هـ/1248م (محمد رزوق،1991م ص29)،كما سقطت مدن أخرى غرب الأندلس مثل قادس و جيان سنة643هـ 1245م (مونتغمري،1998م ص157)وشاطبة سنة644هـ 1246م وشريش سنة1268م وبطليوس 627هـ/1228م وهكذا فإن القرن السابع الهجري شهد سقوط معظم المناطق الشرقية والوسطى من

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الأندلس في يد النصارى وفي هذه الظروف هاجر الكثير من الأندلسيين إلى بلاد المشرق بعد أن أصبحت أيام المسلمين في الأندلس معدودة خاصة بعد أن انقطع الدعم والمساندة من بلاد المغرب بعد هزيمة المرينيين في موقفة طريف سنة741هـ/1340م (ابن خلدون،2000م ج7 ص347).

ومن أبرز العلماء الذين هاجروا إلى المشرق في هذه المرحلة نذكر محي الدين بن العربي أبو بكر المتوفى سنة 638هـ/1240م (المقري،1998م ج2 ص199)، كما هاجر بعد حصار بلنسية المؤرخ والشاعر أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الآبار الذي ألف قصيدة شعرية يستغيث بها من أبي زكريا الحفصي أمير تونس ومطلعها:

أَدرِك بِخَيلِكَ خَيلَ اللهِ أَندَلُسًا إِنَّ السَيلَ إِلَى مَنجَاتِهَا دَرسًا

وَهِب لَهَا مِن عَزِيزِ النَصرِ مَالتَمَستَ فَلَم يَزَل عِزُ النَصرِ مِنكَ مُلتَمِسًا

(ابن الأبار،1963 ص35)

أما بعد سقوط شاطبة سنة644هـ/1246م فقد رحل أبو عبد الله بن محمد بن سلمان المعافري الشاطبي المتوفى سنة672هـ بالإسكندرية' وكذلك ابن وثيق شيخ القراء أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأموي الاشبيلي الذي رحل إلى المشرق بعد سقوط اشبيلية واستقر بمصر حتى وفاته سنة654هـ/1256م (سحر عبد العزيز سالم،1997م ص195) كما هاجر أيضا بعد سقوط جيان في يد فرناندو الثالث، محمد بن غالب بن يونس بن غالب الأنصاري الأندلسي الجياني زار مصر وتوفي سنة703هـ/1303م (جلال الدين السيوطي،1968م ج1 ص501).

-تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية لدولة بين نصر: تمكنت دولة بني نصر من الحفاظ على المناطق الجنوبية في يد المسلمين والتصدي لضربات النصارى فترة زمنية طويلة إلا أن هذه الإمارة الإسلامية بدأت تعرف الإضرابات والثورات الداخلية كتلك التي قام بها أبو الجيوش نصر ضد أخيه أبو عبد الله محمد الملقب بالمخلوع وذلك سنة 708هـ/1308م(ابن حجر،1993مص133)، أو كما حدث في عهد السلطان الغني بالله سنة 760هـ/1359م وكذلك في عهد السلطان محمد الثامن ابن يوسف

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الثالث الملقب بالصغير حيث ثار عليه الأمير محمد التاسع بن نصر المعروف بالأيسر سنة 866هـ/1419م(حسين مؤنس، دت ج2 ص200)،هذه الأوضاع السياسية أثرت على الجانب الاجتماعي حيث ارتفعت الضرائب بسبب الحروب الكثيرة وكذلك غلاء المعيشة إضافة إلى الازدحام بسبب الهجرة من المدن الأندلسية الأخرى نحو غرناطة حيث تضاعف عدد السكان (أحمد الطوخي، 1997م ص252)ونتيجة لهذه الظروف الصعبة فضل الكثير من الأندلسيين الهجرة نحو المشرق وباقي الأقطار الإسلامية .

-سقوط غرناطة: لقد تمكنت هذه المملكة من الصمود لفترة طويلة أمام ضربات النصارى وبعد أن توحدت إسبانيا النصرانية تعددت الهجمات الإسبانية على هذه المملكة والتي انتهت بسقوطها سنة 897هـ/1492م وكان وراء هذا السقوط أسباب عديدة منها الداخلية المتمثلة في الصراعات والفتن وضعف الحكام والتدهور الاقتصادي بسبب الضغط الأجنبي وتراجع التجارة بعد سقوط المدن الأندلسية الأخرى وأسباب خارجية متمثلة في قلة الدعم الخارجي خاصة بعد ضعف دولة بني مرين (شكيب أرسلان، 1983م ص72)وعدم تلبية دولة المماليك للاستغاثات المتكررة من الأندلس، وكان هذا السقوط من العوامل التي أدت إلى ازدياد الهجرة نحو المشرق خاصة بعد نقض النصارى لنص الاتفاقية المبرمة مع المسلمين وتعرضهم للتنصير بعد ظهور محاكم التفتيش.

-المعارضة السياسية: حيث كان بعض العلماء والفقهاء يعارضون الحكام في اتخاذ مواقف معينة كما كان بعض الفلاسفة يلقون معارضة شديدة بسبب أفكارهم ومؤلفاتهم كما حدث لابن

مسيرة (علي المنتصر الكتاني، 2005م ص404)،أو كما حدث في عهد الموحدين حيث نظروا إلى الذين خالفوهم على صعيد العقائد والمبادئ نظرة معادية اتسمت بالحقد والكراهية مما أثار فيهم موجة من الخوف كما حدث لأبي الوليد محمد بن عبد الله القرطبي الذي رحل وأقام بالإسكندرية ثم مكة وتوفي سنة551هـ/1156م (أنجيل باليثيا، دت ص326)حيث كان سبب الهجرة هو الخوف من بطش الحكام ويمكن أن نضيف مثال أخر لابن سعيد المغربي الذي خاف على نفسه من الموت بعد أن تغيرت أحواله مع ابن عمه أبو عبد الله محمد بن سعيد الذي كان يعمل وزيرا لدى ملك إفريقية أبي زكريا فرحل إلى

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المشرق كما رحل أيضا أبو حيان الغرناطي بسبب خلاف مع شيخه ابن الطباع الذي رفع أمره للأمير محمد بن نصر الفقيه (عبد الرحمن علي حجي، 2003م ص57)،وهكذا فقد كانت المعارضة والاضطهاد أحد العوامل التي ساهمت في ازدياد الهجرة الأندلسية نحو مناطق كثيرة من العالم الإسلامي.

-الاستقرار السياسي والاجتماعي لمصر في عهد المماليك: لقد عاشت مصر في عهد المماليك مرحلة من الاستقرار والأمن بفضل ما وفره السلاطين من قوة عسكرية تمكنت من خلالها أن تقضي على الحملات الصليبية والمغولية خاصة في بلاد الشام، كما تمكن الظاهر بيبرس من بسط نفوذه على مناطق الشام والحجاز وتأمين طريق الحجيج.

كما انتعش الوضع الاقتصادي بسبب العلاقات التجارية الواسعة مع الدول الإسلامية وحتى المسيحية بفضل موقعها الاستراتيجي على البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر وتوفرها على موانئ هامة ومراكز تجارية مثل الفسطاط ودمياط والإسكندرية (أحمد مختار العبادي،1981م ص46)، إضافة إلى الازدهار الثقافي وكثرة المنشآت الدينية من مدارس ومساجد وتنافس السلاطين في ذلك حيث تحولت القاهرة إلى مركز علمي وأصبحت تفوق كل مدن العالم الإسلامي ,حيث يذكر ابن خلدون في مقدمته: "ونحن لهذا العصر نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جملتها تعليم العلم... واستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة.....فكثرت الأوقاف لذلك عظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم...." (ابن خلدون، 2001م ص455) هذا الرواج جعل الكثير من المهاجرين الأندلسيين يفضلون مصر والاستقرار بها.

2-مراحلها:

لقد شهدت مصر توافد الكثير من الأندلسيين خاصة بعد تدهور الأوضاع السياسية بالأندلس ويمكن تقسيم هذه الهجرة إلى مرحلتين أساسيتين:

أ-المرحلة الأولى: قبل سقوط غرناطة

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وتبدأ هذه المرحلة من بداية تدهور الأوضاع السياسية في الأندلس مع بداية حروب الاسترداد وضعف الدولة الموحدية وانهزامها في معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م (عبد الواحد المراكشي،1997م ص164)حيث أخذت قواعد المسلمين في الأندلس تتساقط الواحد تلوى الأخرى مما أدى إلى ازدياد الهجرة حيث أثار أهل الأندلس الهجرة على البقاء تحت سيطرة المسيحية وقد كانت الهجرة الأندلسية في اتجاهات مختلفة كان أبرزها المغرب الإسلامي ثم بلاد المشرق وخاصة مصر والشام وفي هذه المرحلة كانت مصر تعيش نوع من الاستقرار السياسي في عهد دولة المماليك البحرية خاصة في عهد السلطان سيف الدين قطز الذي هزم التتار وكذلك في عهد الظاهر بيبرس الذي تمكن من بسط نفوذه على البلاد شام والحجاز.

ومما زاد في تدفق المهاجرين على مصر هو وقوعها على طريق الحج حيث عمل السلاطين على توفير كل التسهيلات للحجاج القادمين من كل أنحاء العالم الإسلامي (القلقشندي، 1913م ج8 ص107)وتزخر كتب التراجم والمصادر التاريخية بأسماء العديد من الشخصيات الأندلسية التي هاجرت إلى مصر في هذه المرحلة ومن أبرزهم أبو عبد الله محمد بن الأزرق رحل من الأندلس ليطلب النجدة من المماليك بعد سقوط جميع بلاد الأندلس, وقد استقر في المشرق وتولى قضاء القدس إلى أن توفي سنة896هـ/1490م (القلصادي، دت ص27)،وابن وثيق أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأموي الاشبيلي الذي رحل إلى المشرق بعد سقوط اشبيلية وزار بلاد الشام واستقر بمصر حيث توفي بالإسكندرية سنة654هـ/1256م،ومنهم أيضا فتح الدين بن سيد الناس الأندلسي رحل إلى مصر وتوفي سنة734هـ/1336م،وكذلك أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي الذي توفى بمصر سنة 668هـ/1269م (جلال الدين السيوطي،1968م ج1 ص416)،ومحمد بن محمد بن أحمد الشريش المتوفى سنة 705هـ/1305م حيث رحل هو كذلك إلى مصر ،بالإضافة إلى علي بن حديدة الأندلسي عاش بمصر وعمّر بها عدة زوايا توفي ببيت المقدس سنة719هـ/1319م (الذهبي شمس الدين،1997م ج17 ص432)وإبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن محمد بن أبي الحسن الأندلسي المالكي المعروف بالحربي رحل إلى مصر وأقام بها والتقى بالقاهرة شمس الدين السخاوي وتناظرا علميا توفي سنة893هـ/1487م (السخاوي، دت ج1 ص51).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ب-المرحلة الثانية: بعد سقوط غرناطة

وهي المرحلة التي عقبت سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م هذا السقوط الذي أنهى الوجود الإسلامي في الأندلس، فبعد أن تم التوقيع على معاهدة التسليم وشروط الصلح حتى بدأ النصارى في نقضها وسلطوا على المسلمين أنواع التعذيب وخاصة بعد إنشاء محاكم التفتيش التي أرغمتهم على التنصير (عبد الحكيم دنون، 1988م ص 71)،ورغم الثورات التي قام بها العرب ضد هذه السياسة إلا أن هذه الثورات باءت بالفشل رغم مساعدة الأتراك والمغاربة ،ونتيجة لهذه الظروف فر الكثير بدينهم وهاجروا إلى الأراضي الإسلامية سواء بلاد المغرب أو المشرق خاصة وأن الونشريسي أصدر فتوى تلزم كل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر في حفظ رأس الإيمان بالبعد والفرار عن مساكنة أعداء حبيب الرحمان وقد اعتبر هذه الهجرة فريضة واجبة على كل مسلم مستطيع (الونشريسي، 1981م ج2 ص121)كل هذه الأسباب كانت سببا في هجرة الكثير من الأندلسيين إلى المشرق وكذلك بلاد المغرب وقد ساهم الأتراك في نقل الكثير من المهاجرين إلى الشواطئ الإسلامية .

وهكذا فقد كان للهجرة الأندلسية دور كبير في تمتين الروابط بين المغرب الإسلامي والمشرق دون أن ننسى كذلك الهجرة من المشرق نحو الأندلس فقد رحل الكثير من المشارقة خاصة من مصر والشام نحو الأندلس وقد ازدادت هذه الهجرة خاصة أيام ازدهار وقوة الأندلس, ومن الأمثلة عن هذه الهجرة فقد أورد المقري في كتابه نفح الطيب عدة أسماء نذكر منهم عمر بن مودود بن عمر الفارسي البخاري يكنى أبا البركات ولد بليماس ونشا بها تعلم العربية والفقه وهو من أبناء الملوك انتقل إلى المغرب ثم دخل الأندلس ونزل مالقة في حدود سنة630هـ/1232م ثم دخل اشبيلية وقد أجاز لابن الآبار سنة631هـ/1233م وتوفي بمراكش سنة640هـ/1242م وكان من أهل التصوف (المقري،1998م ج3ص400)،وكذلك أبو إسحاق بن خلف بن منصور المعروف بالشهوري قدم من بلاد مصر ودخل اشبيلية سنة 630هـ/1232م،ومن القادمين أيضا الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين وهو من المشرق دخل الأندلس واستقر بها هذه الحركة المتبادلة بين العلماء ساعدت على تمتين الروابط الثقافية وحتى السياسية بين الأندلس ومصر المملوكية.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

3-دور المهاجرين في تحقيق التواصل الثقافي

لقد توافد على المشرق عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين وقد شاركوا في جميع شؤون الحياة العامة حيث لم يخلو مجال إلا ووجد فيه الأندلسيون وقد ترك بعضهم آثار علمية خالدة في عدد من العلوم وسنحاول تبيين بعض أدوار هذه الجالية في بعض المجالات:

1-في مجال تدريس العلوم:

لقد كان دور الأندلسيين في هذا المجال رائدا وشمل كل أنواع العلوم العقلية والنقلية لأن الهجرة الأندلسية ضمت عدد كبير من العلماء والفقهاء الذين أفادوا الطلبة بعلمهم الغزير ومعرفتهم الواسعة لشتى العلوم خاصة وأن الأندلس كانت قد شهدت نهضة العلمية رائدة وأصبحت قرطبة وغرناطة مراكز علمية معروفة ومن الأمثلة عن الذين ساهموا في هذا المجال نذكر:

-أبو عبد الله محمد بن سراقة الشاطبي: يكنى أبا القاسم ولد سنة 592ه/1195م ورحل في طلب العلم فزار بغداد وحلب وتولى مشيخة دار الحديث بحلب ومشيخة دار الحديث الكمالية بالقاهرة توفي بالقاهرة سنة662ه/1263م (المقري، 1998م ج2 ص225).

-أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ولد سنة601ه/1204م ورحل إلى العراق ومصر درّس بالفاضلية وتولى مشيخة الحديث بدمشق.

-أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي ولد بشريش سنة 601ه/1204م وارتحل إلى الإسكندرية وزار دمشق كان مفتيا تولى التدريس بالرباط الناصري ودّرس بالفاضلية بمصر كان شيخا بالتربة الصالحية توفي سنة 685ه/1286م.

-عبد الرحمان ابن خلدون المتوفى سنة 880ه/1475م تولى التدريس في مدرسة صلغتمش وكذلك في المدرسة القمحية والجامع الأزهر والمدرسة الصالحية (ابن خلدون، 2007م ص253).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

-جمال الدين أبو بكر الوائلي التربيشي المالكي ولد سنة 601ه /1204م ورحل إلى الإسكندرية درّس بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة وولي مشيخة المدرسة بالقدس توفي سنة685ه/1286م.

-محمد بن عبد الله بن محمد بن لب المتوفى سنة 705ه/1305م الذي رحل إلى مصر والشام وقام بتدريس اللغة العربية في المدرسة الصالحية بالقاهرة (جلال الدين السيوطي،1968م ج1 ص558).

-فتح الدين بن سيد الناس الأندلسي الأصل رحل إلى مصر ودرّس الحديث بالمدرسة الظاهرية توفي بمصر سنة 734ه/1333م (ابن عماد، 1980م ج279 7).

-أبو عبد الله محمد بن محمد بن إسماعيل الأندلسي ويعرف بالراعي المالكي ولد سنة 780ه/1378م كان عالما بالفقه والعربية والقراءة توفي سنة 856ه /1452م.

-ابن دحية الإمام الحافظ أو الخطاب عمر بن حسين الأندلسي كان بصيرا بالحديث والعربية سكن مصر وأدب الملك الكامل ودرّس بدار الحديث الكاملية توفي سنة 633ه/1235م.

ومن النحويين الذين درسوا في مصر نذكر أبا حيان الغرناطي الذي عين مدّرسا في مدارس القاهرة وقام بإلقاء الدروس في مسجد الحاكم سنة704ه/1304م (ابن الخطيب، 1973م ج1 ص178).

2-في مجال القضاء:

لم يقتصر دور الأندلسيين على التدريس والإمامة بل تولّى البعض منهم منصب القضاء خاصّة قضاة المالكية نظرا لان هؤلاء المهاجرين كانوا على المذهب المالكي المنتشر في بلاد الأندلس ومنهم أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن هاني اللخمي الغرناطي شارح التلقين بالإضافة إلى حفص بن عمر بن على بن أحمد الأنصاري الأندلسي ثم القاهرة المتوفى سنة 804ه/1401م (ابن سعيد 1967م ج2 ص104)،كما تولى القضاء المالكي أيضا أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق المتوفى سنة896ه/1491م والذي كان قاضيا للجماعة في كل من مالقة وغرناطة ورحل إثر سقوط غرناطة لطلب النجدة واستقر بالمشرق، أما عبد الرحمن بن خلدون فقد تولى منصب القضاء بمصر سنة

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

786هـ/1384م،ومن العلماء الذين مارسوا وظيفة القضاء في بلاد المشرق، محمد بن يحي الأندلسي اللبسي، أخذ عن الحافظ بن حجر إمام علوم الفقه والنحو وأصول الدين تولى قضاء المالكية بحماة وتوفي ببرسا من بلاد الروم سنة 884هـ/1487م.

شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن مهاجر الوادي آشي الحنفي سكن طرابلس الشام ثم رحل إلى حلب وأقام بها وتولى القضاء توفي سنة 739هـ/1340م.

ومن الملاحظات أن الذين تولوا القضاء كانوا على المذهب المالكي نظرا لانتشاره بالأندلس عكس المذاهب الأخرى التي كانت منتشرة أكثر في المشرق.

3-في مجال الطب:

لقد كان دورهم في هذا المجال رائدا حيث كانت مساهمتهم كبيرة في فروع العلوم العقلية وخاصة الطب والصيدلة ومنهم من توصل إلى رئاسة المستشفيات ومنهم من عمل كمعتمد عند الحكام والسلاطين ومن هؤلاء الأطباء الطبيب عبد المنعم الجلياني الذي خدم صلاح الدين الأيوبي لفترة طويلة (ابن أبي اصبيعة، دت ص601) وكذلك الطبيب ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار الذي كان أوحد زمانه في معرفة النبات.

ومن الأطباء الذين عملوا في البيمارستانات بالقاهرة أبو تمام الشقوري المتوفى سنة 741هـ/1340م (ابن أبي اصبيعة دت ص588)،وكذلك أبو العباس أحمد المعروف بابن الرومية من أهل اشبيلية أتقن علم النبات ومعرفة الأدوية وخدم في مصر الملك العادل أبو بكر الذي حكم من سنة1221م حتى1228م (المقري،1998م ج2 ص243) وكذلك الرئيس أبو مروان موسى بن ميمون القرطبي اليهودي وقيل أنه أسلم في

المغرب وحفظ القرآن رحل إلى مصر وأقام بالفسطاط حيث خدم السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وكذلك ولده الملك الأفضل علي وكذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللوشي الطبيب المتوفى سنة660هـ/1261م (أحمد الطوخي، 1997م ص310)،وهكذا فقد أسدى هؤلاء الأطباء خدمات

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

جليلة للمجتمع المصري من خلال ما قدموه من أدوية ومعلومات حول الأعشاب والنبات ولم يقتصر دور الأندلسيين على هذه المجالات بل تعدت إلى مجالات أخرى إدارية ومن الأمثلة على ذلك أن أبا الربيع سليمان بن إبراهيم بن صافي الغرناطي رحل إلى القاهرة وناب في الحسبة.

كما كان للأندلسيين دور اقتصادي أيضا من خلال مشاركتهم في التجارة والصناعة فقد تحول الطبيب الأندلسي يوسف بن يحي السيني إلى تاجر طاف بالعراق والهند وفارس وجمع أموال طائلة خصصها لبناء مركز لتعليم الطب والمداواة ،هذا دون أن ننسى الدور العسكري فقد شارك العديد من الأندلسيين في محاربة النصارى من خلال الحملات الصليبية وحملات المغول فقد شارك في خدمة جيش صلاح الدين أكثر من ثلاثة آلاف رجل (أحمد مختار العبادي، 1985م ص110)، ، أمّا في عهد المماليك فقد قاد حملة لفتح جزيرة قبرص في عهد الظاهر بيبرس قائد من أصول أندلسية وهو جمال الدين مكي بن حسون وذلك سنة 669هـ/1270م.

ومن جهة أخرى فإن مساهمة الأندلسيين في التطور الحضاري في مصر وبلاد المشرق بصفة عامة لم تقتصر على المجال العلمي بل تعداه الى ميادين أخرى كان أبرزها التأثرات المعمارية، وقد بدأ التأثير الأندلسي يتدفق على المشرق وخاصّة مصر منذ بداية الهجرة الأندلسية.

فقد تحوّل ميناء الإسكندرية إلى محطّة رئيسية للسفن القادمة من الأندلس بعد استيلاء النصارى على بعض المدن الأندلسية.

وقد انتقلت خصوصيات العمارة الأندلسية إلى المشرق عن طريق هؤلاء المهاجرين الذين كان هدفهم الزيادة في العلم أو زيارة الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج، أو الفرار بدينهم بعد سيطرة النصارى على مدنهم، كما كان للتجار الاندلسيين أيضا دور في نقل تلك الخصوصيات الاندلسية الى بلاد المشرق الاسلامي من خلال رحلاتهم التجارية المتكررة.

وقد زادت التأثيرات الأندلسية في عهد المماليك بعد أن نشطت حركة الهجرة والتي ضمّت عددا من الحرفيين والمهندسين والفنانين، ونظرا لاهتمام سلاطين المماليك بالعمران فقد استخدموا هؤلاء

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المهاجرين في البناء والزخرفة والصناعات المختلفة مما ساعد على انتقال الخصوصيات المعمارية الأندلسية خاصة في مجال الزخرفة، ومن أهم التأثيرات الأندلسية في العمارة المملوكية العقود المنفوخة المتجاورة والعقود التوأمية في الواجهات والمآذن الموجودة في قبة فاطمة خاتون وضريح المنصور قلاوون وفي جامع جاي اليوسفي. (عبد العزيز سالم،1972م ج2 ص63)

كما تظهر التأثيرات أيضا في القباب التي تظهر في جامع ابن طولون وكأنها منقولة من قرطبة وتظهر أكثر في الترميمات التي أجريت على هذا المسجد في العهد المملوكي خاصة المئذنة وهي نفس الطابع للعقود القرطبية.

ومن مظاهر هذا التأثير مئذنة مدرسة المنصور قلاوون التي تحتوي على بعض العقود المتجاورة وهي شبيهة بتلك الموجودة في مئذنة جامع إشبيلية وفي بعض مآذن الموحدين، ومن التأثيرات الأندلسية في المساجد المملوكية نوع من القباب قسمت القبة إلى تقاسيم هندسية متعددة تشعبت خطوطها من كل ركن من أركان القبة وهذا الشكل يظهر في قباب قرطبة وسرقسطة وطليطلة.

كما تظهر الزخارف الجصية الأندلسية في مئذنة الناصر محمد بن قلاوون وضريح الأميرين سلار سنجر الجاولي. (سحر عبد العزيز سالم، 1997م ص201)

إن التشابه المعماري يبرز تلك التأثيرات الأندلسية التي وصلت الى بلاد المشرق عن طريق المهاجرين الذين وظفوا مهارتهم الفنية في بناء المساجد والمدارس والقباب وتركوا فيها بصماتهم الفنية الأندلسية والتي تمثل مظهرا من مظاهر ذلك الترابط الثقافي بين المغرب والمشرق الإسلاميين. ومن خلال هذه الدراسة للتأثيرات الأندلسية في بلاد المشرق يتضح لنا أن حركة التواصل كانت مستمرة ولم تقتصر على فترة زمنية معينة، إنما أصبحت ظاهرة متميزة لعلماء الأندلس في زيارة بلاد المشرق حيث استقر بعضهم يمارسون وظائف وحرفا بينما عاد البعض الآخر الى بلادهم.

إن هؤلاء المهاجرين وخاصة العلماء ساهموا في إثراء الحياة الفكرية في البلاد التي رحلوا إليها من خلال تقلدهم وظائف مختلفة في التدريس والقضاء والإمامة وغيرها، وصفة عامة فإن بلاد الأندلس

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ورغم ما أصابها من محن ومصائب خاصة في مرحلتها الأخيرة أين تكالب عليها النصارى لطرد المسلمين منها، وبالفعل حدث ذلك سنة 1492م، الا أنها حققت تطورا حضاريا كان الفضل للأندلسيين في نقله الى معظم مناطق العالم الإسلامي مغربا ومشرقا.

ومن جهة أخرى فقد ساهم بعض الحرفيين في نقل بعض المهارات والمميزات الأندلسية في المجال الفني والمعماري الى بلاد المشرق وبالتالي فإن التأثير الأندلسي كان واضحا في جميع المناطق التي حلوا بها الأندلسيين فقد أثروا وتأثروا.

المراجع

1 علي أحمد (1989م) الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، دار طلاس للدراسات والنشر.

2 ابن الخطيب لسان الدين(2006م) اعمال الاعلام، تح ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.

3 محمد رزوق، (1991م) دراسات في تاريخ المغرب، دار افريقيا الشرق.

4 مونتغمري(1998م) في تاريخ اسبانيا الإسلامية، تر محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع.

5 ابن خلدون عبد الرحمن (2000م) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الفكر بيروت.

6 المقري أحمد (1998م) نفح الطيب، تح يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر بيروت.

7 ابن الأبار، (1963م) الحلة السراء، تح حسين مؤنس، دار المعارف القاهرة.

8 سحر عبد العزيز سالم، (1997م) بحوث مغربية ومشرقية في التاريخ والحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.

9 جلال الدين السيوطي(1968م) حسن المحاضرة، تح محمد أبو الفضل دار احياء الكتب العربية.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

10 ابن حجر العسقلاني(1973م) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجبل بيروت.

11 حسين مؤنس(دت) موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد.

12 أحمد الطوخي(1997م) مظاهر الحضارة في عهد بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.

13 شكيب أرسلان(1983م) خلاصة تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة بيروت.

14 علي المنصر الكتاني(2005م) انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية بيروت.

15 أنجيل بالثيا(دت) تاريخ الفكر الأندلسي، تر حسين مؤنس مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد.

16 عبد الرحمن علي حاجي(2003م) هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة ظروفها وأثارها المجمع الثقافي أبو ظبي.

17 أحمد مختار العبادي وعبد العزيز سالم(1981م) تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية بيروت.

18 ابن خلدون(2001م) المقدمة دار الفكر بيروت.

19 عبد الواحد المراكشي(1997م) وثائق المرابطين والموحدين، تح حسين مؤنس مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد.

20 القلقشندي(1913م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأمرية القاهرة.

21 القلصادي(دت) رحلة القلصادي، تح محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع.

22 الذهبي شمس الدين (1997م) سير أعلام النبلاء، دار الفكر للطباعة بيروت.

23 السخاوي شمس الدين(دت) الضوء الامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة بيروت.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

24 عبد الحكيم الدنون(1988م) أفاق غرناطة بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي، دار المعرفة دمشق.

25 الونشريسي أبو العباس(1981م) المعيار المغرب والجامع المعرب في فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب، تح محمد حجي دار الغرب الإسلامي بيروت.

26 ابن خلدون عبد الرحمن (2007م) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، تح محمد بن تاويت الطنجي، الطباعة الشعبية للجيش الجزائر.

27 ابن عماد الحنبلي(1980م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح جس كولان وليقي بروفنسال، دار الثقافة بيروت.

28 ابن الخطيب(1973م) الإحاطة في أخبار غرناطة، تح عبد الله عنان، مكتبة الغانجي القاهرة.

29 ابن سعيد المغربي(1967م) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تح إبراهيم الابياري دار المعارف مصر.

30 ابن أبي أصبيعة (دن) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح نزار رضا مكتبة الحياة بيروت.

31 أحمد مختار العبادي(1985م) بعض مظاهر العلاقات التاريخية بين مصر والأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، العدد23 مدريد.

32 عبد العزيز سالم(1972م) قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية بيروت.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 01 بتاريخ 2020/06/10م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

البيوتات الصوفية الغرناطية : دراسة في النماذج والإنتاج .

د- رشيد يماني .

جامعة تلمسان (الجزائر)

الملخص :

غلب على طابع البيوتات العلمية الأندلسية على عهد بني نصر عدة سمات وخصائص في شكل ظواهر انفردت بها؛ وقد تعددت هذه الظواهر ما بين السلبية والايجابية، ومابين فكرية متعلقة بالطالع التعليمي والتأليفي، وسياسية خاصة بالولوج للسلطة والاحتكاك بها، وأخرى اجتماعية متعلقة ببُروز الخدمات المقدمة والدسائس المحاكة ...

إلا أن أبرزها على الإطلاق كانت منها الدينية والعقدية متمثلة في ظاهرة التمذهب بالمالكية ودفاعها عنه إلى حد التعصب والتناظر والتأليف لنصرته، ومن جانب آخر وجدت ظاهرة اكتساح النسيج الصوفي للأسر الأندلسية وسعيها للحفاظ على هذه المكتسبات، وقد ساهم ذلك في بروز عديد البيوتات العلمية متأثرة بعدة عوامل داخلية وخارجية، سياسية وفكرية واجتماعية.

الكلمات المفتاحية : البيوتات الأندلسية، التصوف، الخصائص، الإنتاج الفكري ، مملكة غرناطة.

Sufism andalusian families : Study in models and production

Abstract :

The character of Andalusian scientific families at the time of Banu Nasr area was dominated by several characteristics in the form of phenomena but it's pure Andalusian.

This phenomena varied between the negative and the positive, and between the intellectual linked to education, a special policy of access and contact with power, and other social ones linked to the pre-eminence of the services provided and the plots simulated...

However, the most prominent among them were religious and ideological, represented in the phenomenon of Maliki doctrine domination and its defense to the extent of fanaticism, symmetry and the authorship of its support.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

On the other hand, the phenomenon of the invasion of Sufis in Andalusian families, and their efforts to preserve these gains has been noted, which has contributed to the emergence of many scientific families, but affected by several internal and external factors , political, intellectual and social…

Key words : Andalusian families, kingdom of Granada, Sufi way, phenomenon.

تقديم :

تعتبر البيوتات العلمية من الظواهر البارزة في المجتمعات الإسلامية، ولعل الأندلس قبل غروب شمسه عرف هذه السمة حيث برزت أسر توارث أبناؤها العناية بالعلوم والمعارف، وارتقوا السلم الاجتماعي، وتقلدوا أرفع المناصب، ولم تكن ظاهرة بروز أبناء الأسرة الواحدة خاصة بالمجال العلمي فقط بل شمل مجالات أخرى فنذكر بيوتات التجارة وبيوتات السياسة وحتى بيوتات التصوف.

وانطلاقا من ذلك آثرنا أن نقف على الملامح العامة لهذه الظاهرة مع الاحاطة بنماذج معينة للأسر الصوفية التي توارث أبناؤها كابرا عن كابر، وأبا عن جد السند الصوفي وتلك السوكات الزهدية والرقائق والنسك، ومن ثم الوصول إلى كل ما أنتجته هذه البيوتات الصوفية من إنتاج فكري ومنظومات شعرية تخص التصوف محليا وإقليميا.

التصوف الأندلسي: مفاهيم ودلالات :

ذهب المفكرون في تعريف التصوف مذاهب شتّى حتى ساق السُبكي في طبقاته ألف تعريف (السُبكي، 1413هـ، صفحة 140/5) (الريسوني، 1993، صفحة 457) ، وهو يُعدّ من أهم عناصر التيار الإسلامي التي كان لها تأثير عميق في مجرى الحياة اليومية الأندلسية، وقد تمثلت في الممارسات الزهدية التي كان يحياها بعض النُسّاك والمتعبّدين مما حدّثتنا عنهم كتب التراجم،ويُعرفه ابن خلدون على أنه:"من العلوم الشرعية الحادثة في الملّة، وأصلها العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى والإعراض

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

عن زُخرُف الدنيا وزينتها والزهد والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة (ابنخلدون، د- ت، صفحة 219/5) .

قبل الخوض في الحديث عن أهم الأسر التي اتخذت الزهد سلوكا والتصوف مذهبا وطريقة لها علينا أن نقف على تعريف هذه المؤسسات وإبراز أهم العوامل المتحكمة فيه والوقوف على نماذج منها منتشرة ببقاع الأندلس خاصة بالسلطنة الغرناطية.

اتخدت هذه المراكز الصوفية تسميات عديدة أهمها الزوايا والخوانق والرُبَّط؛ فقد أشار المقريزي أن الخوانق حدث عملها في الإسلام خلال القرن 4هـ/10م ، وهي بيوت أعدها الصوفية لكي يخلوا فيها إلى عبادة الله تعالى بكل ما تحمله تلك الكلمة من معنى (المقريزي، 2002، صفحة 414/2) ؛ وأما الرباط فهو حصن دفاعي يتجمع فيه من أنذروا أنفسهم للدفاع عن الإسلام (مرزوق، 1981، صفحة 397/2) (بلغيث،، 1987، صفحة 197)، وقد جاءت الخوانق والربّط متقدمة عن سواها من المؤسسات الأخرى التي سبقها من ناحية الشكل والمضمون بحيث أنها أصبحت مهيأة تماما لتحقيق الغرض التعليمي الذي أنشئت من أجله والتي تعد وبحق المرحلة التمهيدية لظهور المدارس بعد ذلك.

سُرعان ما اكتسح التصوف النسيج المجتمعي الأندلسي خلال القرن السابع الهجري نتيجة عدة عوامل داخلية ، وأخرى خارجية (الهرامة، 1993، الصفحات 70-87) بحكم تعرض الأندلس لغزوات النصارى فكثرت ندوات رجال الصوفية واستصراخهم للسلاطين والمجاهدين للدود عن تخوم الدولة الإسلامية حتى طلب السلطان النصري محمد الأول من عبد الملك بن إبراهيم بن بشير القيسي الأندلسي أبي مروان اليحانسي (ت667هـ) (حمام، 2003، صفحة 116)، أن يعينه بدعواته المجابة خلال نزاعه مع الأسبان (الطوخى، 1997، صفحة 344). وخاطب الحاج عبد المنعم بن علي بن سدرا ي بن طفيل أبو العرب (كان حيا في 633هـ) (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 30/4)، أهل المغرب وحتى يغمراسن السلطان الزياني لنصرة أهل الأندلس على النصارى .

كما أضحت لظاهرة المناقب والكرامات للشخصيات الصوفية خاصية أندلسية ، فقد كانت الرباطات ترصع سواحل الأندلس وثغورها، وإن كان للرباط طابعه الحربي والديني إلا أنه أصبح قبلة تحصيل العلم والثقافة (حسن، 1968، صفحة 438/4) .

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ومن الرباطات التي اشتهرت بها الأندلس رباط طليطلة، وبطليوس، ورابطة كشكي (الزهري، د ت، صفحة 103)، ورباط شنترين (الحميري، 1975، صفحة 346)، ورباط الريحانة (ابنالآبار، 1985، صفحة 202/2)، كما وجدت مدارس للزهاد ومدارس للمبادئ التي تدعو إلى الحياة التقية والميل إلى الخلوة، مثل خلوة الجبل لإبن مسرة ، ورباط ابن مجاهد الإلبيري ، ومدرسة ابن أبي زمنين (ريبرا، 1994، صفحة 59).

خصّصت الرباطات على المستوى الثقافي حصص لقراءة القرآن وتفسيره الحديث وعلومه وقراءة كتب الفقه وشعر المواعظ والذي يسمى "الرقائق" حيث كانت تعقد مجالس خاصة، إضافة إلى أناشيد دينية تُسمَّى العادة (بلغيث،، 1987، صفحة 198).

أدى هذا النشاط الفكري إلى تطور التصوف والزهد حتى أضحت ثقافة العصر في عهد الموحدين والنصريين، وأن رواد الروابط والقلاع من العلماء والزهاد هم رواد هذه الأدبيات الصوفية والرقائق والزهديات.

عرفت غرناطة كذلك نوعا شبيها بهذه المؤسسات تمثلت في الزوايا ومن أهمها زاوية اخشارش والتي يبدو أن ابن الخطيب هو الذي أقامها من أجل العلم (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 40/3) (عيسى، 1982 ، صفحة 408) ، وفي ربض البيازين أسست عائلة قدمت من شرق الأندلس رباطا لتلاوة القرآن والمدائح (Arie, 1992 , p. 256)، وسكن بعض العلماء الأندلسيين الخوانق المشرقية (السيوطي، 1979، صفحة 23/2) (ابنخلكان، 1994، صفحة 335/3).

كما وجد رباط ابن المحروق (فرحات، 1993، صفحة 132)، ورابطة القبطة بالمرية (العُبادي، د-ت، صفحة 395)، إضافة إلى الزاوية الشهيرة التي تعرق برابطة العقاب (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 155/2) (العمري، 2002، صفحة 63/4)، وهي جبل على خارج غرناطة بينهما نحو ثمانية أميال (بطوطة، 1997، صفحة 685) .

نماذج من الأسر الصوفية الغرناطية :

كثيرا ما نعثر في كتب التراجم والطبقات والفهارس والأثبات بعض المفردات والعبارات التي دلت على صفات الزهد والنسك والصلاح وطرق الصوفية ؛ ولعل نذكر أبرزها غرضا لا عرضا : "مؤثر الخمول

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وعاكف باب الله تعالى" (ابنالخطيب، أوصاف، 1980، صفحة 142) (ابنالخطيب، الكتيبة، 1983، صفحة 260) ، "صحيح الزهد معرضا عن أعراض الدنيا من المال والجاه " (المراكشي، 1984، صفحة 46/1) (الأنصاري، 1983، صفحة 24)، "وله خوض في طريقة الصوفية" (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 459/3)،" يلبس خرقة الصوفية " (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 232/3)، " كان كثير الزوار ممن يلتمس الخير" (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 96/4)، "يتألف عليه الناس تألف النحل" (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 229/3) (التمبكتي، 2004، صفحة 205/2)...

وفي المقابل وجدت إشارات إلى كراماتهم ومكانتهم في المجتمع الأندلسي حتى أن منهم من مارس مهامه ومهنته مع استئثار الزهد والتصوف على طابعه شأن أبي الحسن فضل بن محمد بن علي بن فضيلة المعارفي (ت 699هـ) (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 256/4) هو الولي الصالح الصوفي كان وليا فاضلا زاهدا، على سنن الفضلاء وأخلاق الأولياء غزير العلم، صوفيا محققا ، وولي الخطابة والإمامة بالمسجد الأعظم، وأقرأ به مدة كبيرة، وكراماته شهيرة، وله تقاييد جوابية عما كان يسأل عنه.

كما كان محمد بن أحمد الأنصاري المواق(ت قبل 750هـ) (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 230/3) (مخلوف، 1349هـ ، صفحة 262/1) مقرئا، وخطيباً بِمسجد ربض الفخارين مستقيماً في طريقته، عاكفاً على وظيفته، مقصوداً بالتماس الدعاء مظنّة البركة، وكلف الناس بقبره بعد موته. وتقدم غالب بن حسن ابن سيد بونة الخزاعي أبو تمام (733هـ) (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 239/4) شيخا وقاضيا وخطيبا بربض البيازين بغرناطة، فقام بالأعباء سالكا سنن الصالحين، من الإيثار والمثابرة على الرباط (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 240/4).

لم تسلم مملكة غرناطة من الصوفية الوافدين فأثروا وتأثروا أمثال محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي الحلفاوي(ت 715هـ) وأصله من تونس، ورد الأندلس تاجرا وبيده مال استأصله بالصدقة،كان مُذكرا بمن سلفه من الزهاد، عازبا عن الدنيا، ابتنى مسجدا وأكثر فيه التعبد (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 271/3). ومكث محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن علي القُرشي المقري التلمساني (ت 759هـ)

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

(ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 191/2) في مالقة بعد سفارته إلى بني الأحمر، عمل في التجارة بين المغرب والسودان الغربي، وهو فقيه أديب متصوف (فروخ، 1981، صفحة 437)يتكلم في الصوفية كلام أرباب المقال إضافة إلى كتابه القواعد في الفقه، له "الحقائق والرقائق"، و"المحاضرات" و"إقامة المريد"و"رحلة المتبتل" في التصوف .

وفي المقابل وجد من الأندلسيين من هاجر خارج وطنه شأن إبراهيم بن الحاج بن عبد الله بن موسى أبو إسحاق النُميري(ت768هـ) الذي انقطع بتربة أبي مدين بعُباد تلمسان، بعد أن رحل كثيرا نحو المشرق وبجاية (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 203/2) .

وبالرغم من تغير صورة ابن ليون لدى لسان الدين ابن الخطيب الذي وصفه في الإحاطة بأنه من أهل الخير والطهارة والذكاء والديانة وحسن الخلق، ثم ذمّه في الكتيبة؛ فإنه أجمع على أن سعيد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن ليون التُجيبي (ت750هـ)كان شيخا صالحا تقيا فاضلا من أكابر الأئمة الذين أفرغوا جهدهم في الزهد والعلم والنصح (المقري، 1968، صفحة 543/5) (ابنحجر، 1993 ، صفحة 86) (المكناسي، 1970، صفحة 292/3).

يبدو أن معظم البيوتات الأندلسية عرفت هذه الظاهرة خاصة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين إن لم نقل جلها حيث برز أعلام كثيرون اجتهدوا في زهدهم أو ساهموا في نشاط مناسك التصوف أو ألفوا في كرامات ومناقب رجال الصوفية الأندلسيين الذي التصوف السني الذي تعدى التصوف الفلسفي ، كما أدى كل ذلك إلى بروز عد من مؤسسات الزهد كالرباطات والزوايا، وانتشار المدارس الصوفية في الأندلس .

ومن أشهر بيوتات وأعلام التصوف الأندلسي خلال هذه الفترة :

بيت بني زكريا الأنصاري :

وهو بيت علم وقضاء ورياسة تلك هي أهم الصفات التي أطنبت فيها جملة التراجم الأندلسية والمالكية، والأنصاري نسبة إلى الأنصار أهل المدينة وهم الأوس والخزرج ، وبيت بني زكريا أوسي نسبة إلى الأوس أحد شطري الأنصار مع الخزرج ، وهم بطون عديدة ذكرها ابن حزم في جمهرته (ابنحزم، 1982،

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

صفحة 471). إضافة إلى تداخل بيته اجتماعيا من خلال الإسهام في الدوائر الصوفية (Secal, 1990, p. 235).

كما تذكر هذه التراجم أن أصل هذا البيت مرسي من مدينة مرسية فعادة ما تضيف إلى كنية أفراده مع الأنصاري الأوسي كلمة المرسي ثم الغرناطي و ذلك دليل على نزولهم بغرناطة ووِفادتهم مرجح أنها كانت عند سقوط بلدهم مرسية في يد الأسبان النصارى.

ولعل أهم أعلام هذا البيت النبيه :

عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى بن محمد بن يحيى بن زكريا الأنصاري المكنى بأبي محمد (ت 745هـ) : تم التنويه به وبفضل بيته على أنه من بيت جود وفضل وبيته من بيوتات مرسية النبيهة أولا قبل أن يتواصل في مملكة غرناطة (النباهي، 1983، صفحة 152) .

إبراهيم بن يحي بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى بن زكريا الأنصاري المرسي ثم الغرناطي (ت751هـ) ذو سلف شهير وبيت معمور برياسة وعلم وقضاء من أولي الأصالة والأحساب، والبيوت النبيهة عند الانتساب (ابنالخطيب، الكتيبة، 1983، صفحة 197).

ويقول النباهي أنه شقيق الفقيه القاضي محمد بن زكرياء ولا نعلم هنا إن كان المؤرخ النباهي قد بين بنا أحد أفراد بيت بني زكريا أو حدث تقصير في النقل ولعل الصحيح أبو محمد عبد الله بن زكريا أو أن هذا الأخير له تسمية أخرى وهي محمد بن زكريا بن يحي (النباهي، 1983، صفحة 154) (Secal، 1990، صفحة 238). وكانت عادة الطلبة الأندلسيين في هذه الفترة أخذ بعض تعاليم الصوفية مع علومهم حيث صحب إبراهيم صوفية وقته من أبناء البيوتات كأبي جعفر بن الزيات، وأبي الطاهر بن صفوان.

أما قريبه أبو عمرو يحي بن عبد الله بن يحي بن زكريا الأنصاري فكان له اهتمام خاص **بزاوية أخشارش** التي كان ابن الخطيب قد أسسها وحبس عليها بعض مؤلفاته بالرغم من كثرة ارتباطاته العلمية والإدارية حيث ورث عن سلفه وخاصة أبيه النباهة والعلم خاصة في علوم الدين كالفقه، إضافة إلى وراثة الأشغال حيث تولى الكتابة (ابنالأحمر، 1968، صفحة 277) بعد أن كان والده إبراهيم كاتبا للرئيس الأمير أبي سعيد فرج فقد كتب أبو عمرو هذا لملوكٍ من بني الأحمر .

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أخذ يحي بن عبد الله بن يحي بن زكريا الأنصاري عن سلفه وعن جملة من أساتذة غرناطة العلوم ونبغ في أغلبها من علوم دينية ولسانية وعقلية، وحصل على الأجازة من أغلبهم حيث كان متفننا في العلوم الشرعية من فقه وأحكام وحصل له التقدم في علم الفرائض والحساب. ويقول ابن الخطيب أنه حبس على الزاوية التي اتخذتها ابن الخطيب بالحضرة موضوعات ، وبالتالي ما نستشفه من هذه العبارة اهتمام يحي بن زكريا الأنصاري بزاوية أخشارش التي كان ابن الخطيب قد أسسها وحبس عليها بعض مؤلفاته.

بيت الساحلي المالقي :

تُعتبر**المدرسة الساحلية** في مالقة التي تعرف عددا هائلا من الزوايا والرباطات (Secall, 2004, p. 237) من أهم المدارس الصوفية في مملكة غرناطة حي نبغ أهلها في العناية بأهل التصوف وأسسوا لذلك المدارس والرباطات، ونظموا ذلك وفق السند الساحلي وعلى طريقة التصوف السهروردية (الساحلي، 2003، صفحة 526) (الشعراني، 1315 هـ، صفحة 119/1).

ينسب هذا البيت إلى الأنصار من أهل المدينة المنورة وهي جماعة من الأوس والخزرج وقيل لهم كذلك لأنهم نصروا الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم كثر ولهم شهرة على اختلاف بطونها وأفخاذها، والأنصار من الأزدية فهم من ولد ثعلبة بن عمرو مُزيقيَاء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، ومن ولد ثعلبة حارثة و من ولد هذا الأخير الأوس والخزرج؛ (السمعاني، 1980، صفحة 367/1) (ابنحزم، 1982، صفحة 332) ومنازلهم بالأندلس كثيرة كان منها سرقسطة بالثغر الأعلى ومالقة وغيرهما .

وُلد الشيخ أبو عبد الله الساحلي الولي (الساحلي، 2003، صفحة 17) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري سنة 649هـ بقرية ديمالش إحدى قرى منتماس قرب مالقة ، أخذ بمالقة العلم عن عدد من المشاهير إلا أنهم لم يتجاوزوا ستة شيوخ مما يدل على تواضع مستواه مقارنة مع أعلام تلك الفترة الذين أحصوا شيوخهم وأساتذتهم في برامج و فهارس وأثبات .

خلف الشيخ الساحلي عددا من الأبناء حسب ما يفهم من نص البغية :" فتجدنا معشر أولاده إذا رأينا ونحن أولاده" (الساحلي، 2003، صفحة 484)، إلا أن أبرزهم والذي تكلمت المصادر عنه واستغنت عن الآخرين هو أبو عبد الله المعمم محمد بن محمد بن أحمد الساحلي(ت 753هـ) صاحب

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

بغية السالك ورث عن أبيه الفضل والعلم فقد خلف والده في الإمامة وتوجه إلى الرابطة بربض مالقة حيث عمل على تأطيرها وتنظيمها ورث عن أبيه الفضل والعلم والطريقة الصوفية وحل محله في السند الساحلي، وكان من أهل الفضل والزهد حتى أنفق ماله في بناء المدارس، وألف في التصوف والخطب ومناسك الحج.

وإذا كان والده من الشيوخ الذين أخذ عنهم فإنه هو بدوره كان أستاذا لابنه أبي الحسن بن محمد الساحلي حيث ورثه في كثير من خلاله وصفاته العلمية حسب ما يفهم من كلام صاحب الإحاطة. (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 191/3)

نوه ابن الخطيب بالكاتب الرئيس أبو إسحق إبراهيم بن محمد الساحلي الأنصاري (ابنالخطيب، الكتيبة، 1983، صفحة 235) (ابنالخطيب، أوصاف، 1980، صفحة 116) في الكتيبة والأوصاف بقوله:"جواب الآفاق ومنفق سعر الشعر، رفع للأدب راية، ارتحل، وبأثمد ملك السودان اكتحل" وانطلاقا من هذا التنويه في الكتيبة يبدو أن للساحلي مكانة علمية بارزة .

بيت بني سيد بونة الخزاعي :

ومن البيوتات كذلك التي كان لها باع في التصوف الغرناطي أبناء حي البيازين في غرناطة وهم **بنو سيد بونة الخزاعي** ؛ فيُشير كل من النباهي وابن الخطيب على أن أصلهم يعود إلى بلاد المغرب وأن أصل التسمية دال على ذلك أي أنهم من بونة بلاد العناب (النباهي، 1983، صفحة 126) (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 239/4)، بينما يرى كل من ابن الآبار وابن الزبير والمقري أنهم أندلسيين من شرق الأندلس ولا علاقة لهم ببلاد المغرب (المقري، 1968، الصفحات 506/2-616) ويعتقد المستشرق خوليان ريبرا أن الأسرة بلنسية وأن مدلول سيد بونة هو تجمع كلمتي السيد الحسن أو السيد المليح.(Secall M. I., 1987, p. 35)

وبالتالي كيف يمكن أن نحكم على هذا البيت هل هو بربري وأصبح أندلسيا بفعل الهجرات نحو شبه الجزيرة الأندلسية أو أنهم مستعربين دخلوا الإسلام بعد الفتح؟ خاصة ونحن نعلم تسمية القبيلة التي ينتمون إليها وأنهم موالي لها وهي قبيلة خزاعة؛ وخزاعة قبيلة عربية وهم بنو لحي بن عامر بن قمعة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (ابنحزم، 1982، صفحة 480).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

يبدو أن ابن الخطيب قد تأكد من أصل التسمية ، ومن وراء ذلك يرى كذلك بعض المستشرقين أمثال بوش فيلا Bosch Villa أن خوليان ريبرا وقع في خطأ التسمية حين نعتهم بسيد بونو ؛وبيَّن في المقابل في دراسة مَوَاقِعية الأخطاء التي يمكن أن تقع في التراجم خاصة عند نسخها حين أبرز انتقال هذه الأسرة إلى الأندلس واستيطانها وادي لشت (guadalest)والتي حرفت إلى وادي آش، وتمثل وادي لشت أحد الثغور البارزة من عمل قسطانية ومن أبرز أعمالها كذلك زانيتا (zanita) ذات التسمية البربرية وألتش (elche)وهي من مدن شرق الأندلس قرب بلنسية وليفانت والتي تعد تسميتها قريبة من مدينة الآش والتي يعني بها النباهي وادي آش (Villa, 1963-1964, p. 47) (النباهي، 1983، صفحة 126) (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 239/4).

وفي الأخير ما أمكن استنتاجه أن هذا البيت له صلة وثيقة بالبيوتات البربرية التي قدمت الأندلس في فتراته العصيبة عند حصار النورمان لثغور شرق الأندلس فكان لهم باع وشأن واستقروا بعد ذلك بإحدى أعمال شرق الأندلس ابتداء من القرن الرابع الهجري وبرزت مكانتهم ، وتواصلت مع مملكة غرناطة ؛ ومن أبرز أبناء هذا البيت الصوفي الذي نجده منتقلا بين شرق الأندلس نحو ربض البيازين بغرناطة :

أبو جعفر أحمد بن يحي بن سيد بونة الخزاعي(ت545هـ) (الآبار، 1995، صفحة 52/1): ذكره ابن الآبار في التكملة وبيَّن بلده ، ويبدو أنه كان من المقرئين ببلده قسطنطانية وهي من عمل دانية ومن طلبته من أهل بيته ابنه أبو بكر يحي بن أحمد .

يحي بن أحمد بن سيد بونة الخزاعي الحاج المقرئ (ت590هـ) (ابنالآبار، 1985، صفحة 181/4):له كنيتين أبو زكريا وأبو بكر ، من نظر دانية من شرق الأندلس ، وبيته بيت خير ودين وصلاح ، روى عنه أخوه أبو علي حسن (الغرناطي، 2008، صفحة 408/3).

أبو تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيد بونة الخزاعي (ت651هـ) (الغرناطي، 2008، صفحة 334) القاضي الزاهد الذي انتقل إلى غرناطة بعد سقوط بلدهم في يد النصارى ، روى عن أبيه وصحب قريبه الشيخ الصالح الجليل أبو أحمد بن سيد بونة ، ولازمه وانتفع بصحبته، وكان يحدث بكثير من فضائله وكراماته (النباهي، 1983، صفحة 136) .

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة (ت 624هـ) : الخزاعي الأندلسي الولي الشهير الصوفي الكبير، ولد بزنيتة سنة 544هـ؛ وقد قرأ ببلنسية على جملة من أساتذة عصره ومنها القراءات السبع ، كما كان يحفظ نصف المدونة وقد أقرأها وكان يؤثر الحديث والتفسير والفقه على غير ذلك من العلوم (التمبكتي، 2004، صفحة 153).

عُرف منهم القضاة والعلماء والصلحاء الزاهدين ، فلعل القاضي الخطيب أبو تمام غالب بن حسن بن غالب بن حسن بن أحمد بن يحي بن سيد بونة الخزاعي (ت733هـ) مولده في غرناطة وذلك بعد هجرة أهل بيته إليها، أخذ علومه عن كبار أساتذة الحضرة، وقد أخذ تعليمه الأول عن مشيخته من أهل بيته منهم والده أبو علي وخاله. وهومن رجال الصوفية بهذا البيت النبيه، وقد تقدم شيخا وقاضيا وخطيبا بربض البيازين بغرناطة، فقام بالأعباء سالكا سنن الصالحين، من الإيثار والمثابرة على الرباط، ألف تحريم سماع اليراعة (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 239/4)

إضافة إلى المؤرخ أبي جعفر أحمد بن علي بن غالب بن حسن بن سيد بونة الخزاعي (ت754هـ) الذي أخذ علومه بغرناطة وخاصة عن أهل بيته علومة المختلفة إلى أنه نبغ في فن التاريخ فكان من حفظة أسماء الرجال والتاريخ (ابنحجر، 1993 ، صفحة 210/1). وقضى الخطيب الصوفي أبو أحمد جعفر بن أحمد بن علي بن غالب بن سيد بونة الخزاعي (ت765هـ) في الأمور الشرعية بحيه ربض البيازين تحت رعاية قاضي الجماعة.

وآخر أعلام هذا البيت محمد بن بونة بن أبي تمام غالب بن سيد بونة الخزاعي (ت 888هـ) غرناطي وأحد أبرز علمائها، ويبدو أنه قد ورث عن أهل بيته إدارة أشغال الرباط كما تقدم لولاية القضاء بغرناطة (Lucena, 1959, pp. 22-23).

بيت بني يخلفتن الفزازي :

إذا كان بيت بني سيد بونة من البيوتات الوافدة من داخل الأندلس فإن **بيت بني يخلفتن الفزازي** من البيوتات المغربية التي وفدت إلى غرناطة واشتهر أبناؤها بالتصوف شأن الأديب الشاعر الجوال عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد بن تفليت الفازاري الذي مال إلى التصوف وله أشعار في الزهد سميت بالعشرينيات في

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مدح النبي صلى الله عليه وسلم. (التمبكتي، 2004، صفحة 260/1) (بروكلمان، 1983، صفحة 131/5) (الهرامة، تنبكتو نافذة على التاريخ و التراث الإسلامي ، 1986، صفحة 234)

ينتهي نسبهم إلى جبل فازاز بمكناسة الزيتون من زناتة ومن أبرز أبناء هذا البيت عبد الرحمن بن أبي سعيد يخلفتن بن أحمد بن تنفليت الفازازي الملقب بأبي زيد (ت627هـ) وقد كان من العلماء الرحالة نبغ في عدة علوم منها الأدب والشعر والقراءات ومشاركا في أصول الفقه، وله معرفة بعلم الكلام، كما كتب مدة طويلة للولاة .

وكان عبد الله بن محمد بن يخلفتن الفازازي المكنى بأبي محمد (ت بعد 625هـ) كان قاضيا من أهل العلم والمعرفة والدين. أما القاضي والكاتب محمد بن يخلفتن بن أحمد الفازازي فكان من ذوي التفتن في المعارف والعلوم، وكتب لحكام الموحدين وتولى القضاء بجهات عديدة منها غرناطة .

بيوتات أخرى :

وبالموازاة مع ذلك برز أبناء من البيوتات ومالوا إلى التصوف ومنهم أكابر علماء مثل عمر بن علي **بن عتيق القريشي**(ت 744هـ)كان مؤثرا للخلوة،كلفا بطريق الصوفية قيد الكثير ولقي في تشريقه أعلاما أخذ عنهم ،كان إماما بالمسجد الكبير بغرناطة سنة711هـ وصنف في التصوف: " مطالع أنوار التحقيق والهداية " (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 197/4) (التمبكتي، 2004، صفحة 338/1) (ابنالخطيب، الكتيبة، 1983، صفحة 51).

وأما إبراهيم بن الحاج بن عبد الله بن موسى أبو إسحاق **النُميري** (ت768هـ) المشارك في عدة علوم ، رحل كثيرا نحو المشرق وبجاية، وانقطع **بتربة أبي مدين بالعُبّاد** ، له تآليف منها **كتاب اللباس والصحبة** جمعه في طرق المتصوفة.

يُنسب **بنو الزيات الكلاعي** إلى قبيلة كلاع إلى حِمير فهي قبيلة حميرية نزلت الشام، وأكثرهم نزلوا حمص ، وينتهي نسبها إلى ذي كلاع الأكبر بن النعمان الذي قتل يوم صفين مع معاوية بن أبي سفيان (السيوطي ج.، 1991، صفحة 352/1) (السمعاني، 1980، صفحة 514/10) (ابنحزم، 1982، صفحة 434)، وتسمية ابن الزيات قد يرجع نسبها إلى الأشغال التي تولاها سلفه وأوليته بعد دخول الأندلس .

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وبنو الكلاعي بالأندلس في مواطن كثيرة ومنهم أعلام عديدون أبرزهم على الإطلاق العالم الشهيد سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي البلنسي المعروف بأبي الربيع شهيد معركة أيشة قرب بلنسية سنة634هـ، وصاحب كتاب الاكتفاء (الكلاعي، 1997).

ومن أعلام الصوفية هذا البيت النبيه المحافظ أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الكلاعي المكنى بأبي جعفر(ت728هـ) من أهل بلش مالقة (الحموي، 1993، صفحة 484/1) (عذارى، 1980، صفحة 49/3)، ويعرف بالزيات وصفه صاحب الإحاطة "بالخطيب المتصوف الشهير حيث كان جليل القدر كثير العبادة عظيم الوقار حسن الخلق " (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 287/1). وكان محمد بن أحمد بن علي أبو بكر **ابن الزيات الكلاعي** البلشي الأستاذ المصنف (ت728هـ) صوفيا وقورا، خطيبا قديرا (النباهي، 1983، صفحة 119) (السيوطي، 1979، صفحة 302/1) (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 138/2).

وأما شقيقه أبو مهذب عيسى بن الزيات الكلاعي فقد حلاه ابن الخطيب بالشيخ الصّوفي ، وذكره عندما ترجم لشيوخ الشقوري محمد بن علي بن عبد الله اللخمي (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 178/3).

لعلنا نختم بأهم شهادة عن مكانة الزهد في البيوتات الأندلسية حيث يورد صاحب الذيل والتكملة شهادة عن بيت الاستجي الحميري في ذلك بقوله : "قال: أبو جعفر الجيار: أخبرني جدي عنه يوما بحديث ثم قال لي: مشيت البلاد ورأيت الزهاد، وصاحبت العلماء والعباد، فلم أر أفضل من أبي عبد الله الاستجي" (المراكشي، 1984، صفحة 51/6).

الإنتاج الفكري الصوفي بغرناطة النصرية :

لعل أشهر هؤلاء المتصوفة إنتاجا محمد بن يحيى بن إبراهيم أبو عبد الله بن عُباد النفزي الرندي(ت792هـ) ، ولو أنه يعد من البيوتات الصغرى كوننا لا نعلم من سلفه إلا والده الذي أخد عنه علومه الأولى وخاله أبي عبد الله القُريشي (ابنخلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، 1996، صفحة 171) (ابنقنفذ، 1965، صفحة 79) (التافتازاني، 1958، صفحة 221)وتنعته المصادر بالفقيه

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الواعظ الزاهد العارف،الصوفي الكبير، رحل إلى المشرق وحواضر المغرب ولقي العلماء وكبار الصوفية،ثم كرّ إلى الأندلس فتعلق بالزهد يتكلم في المعقولات والمنقولات على طريقة الحكماء، جوالا في بلاد الأندلس يزور الرباطات، صنف "**الرسائل الكبرى**"، و"**الرسائل الصغرى**"، و"**شرح أسماء الله الحسنى**" و" **بغية المريد**"، و"**شرح الحكم**" (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 252/3).

وأما عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح بن سبعين العكي (ت 669هـ) (الغبريني، 1981، صفحة 209) (إسماعيل، 1993، صفحة 530) من أعمال مرسية، تجول في بلاد المغرب منقطعا إلى طريقة التصوف، له علم وحكمة ومعرفة، ومشاركة في معقول العلوم ومنقولها، له أتباع من عامة الناس وله موضوعات بها ألغاز وإشارات وتسميات مخصوصة، وبرع في الطريقة الشوذية (الخطيب، 2003) ، من تواليفه: **بر العارف،كتاب الدرج، والصفر، والأجوبة اليمنية، والنورية في ترتيب السلوك** (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، الصفحات 32/4-35).

إضافة إلى علي بن عبد الله النميري أبي الحسن الششتري (ت 608هـ) (الغبريني، 1981، صفحة 210) (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 205/4) من أهل شُشتر من أعمال وادي آش وهو الإمام الصوفي، جال البلاد والآفاق ولقي المشايخ، وسكن الربط ، كزاوية العقاب، نبغ في علوم عدة، أخذ الصوفية عن ابن سبعين وأبي العباس المرسي (النشار، 1953، صفحة 129)، ووضع مؤلفات:"**العروة الوثقى في بيان إحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعمله ويعتقده إلى وفاته**"، و"**المقاليد الوجودية في أسرار إشارات الصوفية** "، و"**الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة** "، و"**المراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية** "و"**الرسالة العلمية**" (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 207/4).

عُد محمد بن إبراهيم بن الحاج البلفيقي أبو البركات أبو عيشون(ت 733هـ) في رجال التصوف أولي المقامات، ألف"**سلوة الخاطر فيما أشكل من نسبته الذنب إلى الذاكر**" (المالكي، د-ت، صفحة 386).إضافة إلى المقرئ محمد بن أحمد الأنصاري المواق(ت قبل 750هـ) خطيب مسجد ربض الفخارين والذي كان مقصوداً بالتماس الدعاء مظنّة البركة، وكلف الناس بقبره بعد موته (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 230/3) ، ومحمد بن أحمد بن جعفر بن حُقاف السلمي القُونجي (ت

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

750 هـ) (الحموي، 1993، صفحة 415/4) الذي كان جارياً على طريقة شيوخ الصوفية حيث لازمهم، اعتنى بلقاء المعروفين بالزهد والعبادة، وأخذ عنهم ، وألف كتاب " الأنوار في المخاطبة والأسرار " والذي احتوى كلام ومخاطبات لبعض رجال الصوفية (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 234/3).

انكب عمر بن علي بن عتيق القريشي(ت 744هـ) (ابنالخطيب، الكتيبة، 1983، صفحة 51) (التمبكتي، 2004، صفحة 338/1) على المطالعة، مؤثرا للخلوة، كلفا بطريق الصوفية، قيد الكثير ولقي في تشريقه أعلاما أخذ عنهم، كان إماما بالمسجد الكبير بغرناطة سنة711هـ، وصنف في التصوف" **مطالع أنوار التحقيق والهداية** ". وألف مشهور الكرامات وشيخ أهل المجاهدات إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس النفزي الغرناطي أبو إسحاق(ت 659هـ) (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 424/1) (السيوطي، 1979، صفحة 424/1) "**مواهب العقول وحقائق النقول**"،" **الغيرة المذهلة عن الحيرة والتفرقة**" ، "**الجمع**"، و"**الرحلة المعنوية**"، و"**الفقه في المسائل و الوسائل**" (المالكي، د-ت، صفحة 148).

كما شارك أبو إسحاق النُميري إبراهيم بن الحاج في علوم عدة، مؤلفا **كتاب اللباس والصحبة** جُمع في طرق المتصوفة (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 343/1) (التمبكتي، 2004، صفحة 32/1)، وبني محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي ابن المعمم (ت754هـ) المدارس والمساجد. انقطع إلى الخلوة ، تولى الخطابة ورحل إلى المشرق ثم كر، له تصانيف متعددة في الفقه والتصوف منها **بهجة الأنوار، والأسرار، وإرشاد السايل لنهج الوسايل، وبغية السالك في أشرف المسالك** (ابنالخطيب، الاحاطة، 1973، صفحة 191/3).

جمع أحمد بن الزيات من الصفات العلمية ما جعل ابن الخطيب وأبي زكريا ابن السراج ينوهان به في تضاعيف فهرستهما (السراج، 2013، صفحة 647)، حيث كان له المشاركة في كثير من المآخذ العلمية واختص في علم القراءات فكان قائما على تجويد القرآن بالإضافة إلى النبوغ في العربية والفقه والتفسير والأدب والعروض .

تحمل العلم عن جملة من الأساتذة والمشايخ الكبار منهم علماء من البيوتات شأن خاله الفقيه الحكيم أبو جعفر أحمد بن علي المذحجي والقاضي أبو علي الحسين بن أبي الأحوص الفهري وأبو الزهر ربيع بن

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

محمد بن ربيع الأشعري وأبو عبد الله محمد بن يحي أخوه ومنهم أبو الفضل عياض ابن محمد بن عياض بن موسى، والأستاذ أبو جعفر ابن الزبير وأبو محمد بن سماك وأبو جعفر بن يوسف الهاشمي الطنجالي إضافة إلى مجموعة كبيرة شق على ابن الخطيب إحصاءهم .

بيَّن ابن الخطيب كيف كان عالمنا هذا منهاجا في طلب العلم وروايته وحاجة عامة كان الناس ينسالون عليه ويغشون منزله ، وكان له مجالس تدريس يفتحها أكثر الأحيان بخطب غريبة يطبق بها مفاصل الأغراض التي يشرع في التكلم فيها وينظم الشعر دائمًا في مراجعاته ومخاطباته وإجازاته، كما استدعاء السلطان النصري واستعمل في السفارة بين الملوك لدحض السخائم وإصلاح الأمور فكانوا يوجبون حقه ويلتمون بركته ويلتمسون دعاءه(Velazquez Basanta, 1987, pp. 65-80) .

تصانيفه كثيرة حتى عد منها بعض الدارسين حوالي أربعة وعشرين (24) مؤلفا لم يحقق منها شيء (الطبراني، 2014)، وأهمها : المقام المخزون في الكلام الموزون والمشرف الأصفى في المأدب الأوفى- القصيدة- وكلاهما ينيف على الألف بيت ونظم السلوك في شيم الملوك والمجتني النضير والمقتني الخطير والعبارة الوجيزة عن الإشارة واللطائف الروحانية والعوارف الربانية.

ولعلنا نختم بأحد أعلام الصوفية المولعين بالكتاب جمعا وتأليفا سعيد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن ليون التُجيبي (ت750هـ) الشيخ الصالح التقي الفاضل المبرور، من أكابر الأئمة الذين أفرغوا جهدهم في الزهد والعلم والنصح، فكان مولعا باختصار الكتب حيث تزيد تواليفه عن المائة ، ويتنافس في جمع الكتب، من تصانيفه: " **كمال الحافظ وجمال اللفظ في الحكم والوصايا والمواعظ** "، واختصار لكتابي بهجة المجالس والمرتبة العليا (المكناسي، 1970، صفحة 292/3) (المقري، 1968، صفحة 543/5) (التمبكتي، 2004، صفحة 203/1).

خاتمة :

كان لجملة البيوتات العلمية الأندلسية شأن كبير في الإسهام الحضاري لدولة بني نصر من خلال مشاركتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية خدمة للصالح العام، وقد تحكم في هذه المشاركة عدة عوامل متباينة شخصية ونفسية كانت أو عامة لعل أهمها تمثل في طموح ورغبة أهل البيوتات في

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

إدارة الشؤون وقيادة الفلك اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وبالتالي تسير وراءهم بقية البيوتات والأسر الصغرى والعامة .

سُرعان ما اكتسح التصوف نسيج المجتمع الأندلسي خلال القرن السابع الهجري نتيجة عدة عوامل داخلية وأخرى خارجية، وأضحت لظاهرة المناقب والكرامات للشخصيات الصوفية خاصية أندلسية ، وظهرت بذلك أسر علمية ذاع صيتها الاجتماعي والفكري بفضل اختيارها لطريق الزهد والنسك .

إذا كان بيت بني زكريا الأنصاري بيت علم وقضاء ورياسة أكثر منه بيت تصوف فإن ما عُرف عن بيت الساحلي الأنصاري على أنه بيت التصوف والشعر، واستاثر بنو سيد بونة الخزاعي بيت ربض البيازين بالتصوف وانتقال السند الصوفي بين أبناء البيت الواحد كابرا عن كابر وأبا عن جد شأنه في ذلك شأن بيت الساحلي .

البيبليوغرافيا :

باللغة العربية :

- ابن الآبار. (1995). *التكملة لكتاب الصلة*. (عبد السلام الهراس، المحرر) بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن الخطيب. (2003). *روضة التعريف بالحب الشريف* . (عبد القادر أحمد عطا،، المحرر) بيروت: منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية.
- ابن القاضي المكناسي. (1970). *درة الحجال في أسماء الرجال،* . (محمد الأحمدي أبو النور، المحرر) القاهرة: دار التراث، المكتبة العتيقية، دار النصر للطباعة.
- ابن بطوطة. (1997). *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار* . (عبد الهادي التازي، المحرر) الرباط: أكاديمية المملكة المغربية.
- ابن عبد الملك المراكشي. (1984). *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة* . (محمد بنشريفة، المحرر) الرباط: مطبوعات أكاديمة المملكة المغربية.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

- ابن عذارى. (1980). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*. (تح: ج-س-كولان و ا- ليفي بروفنسال، المحرر) بيروت: دار الثقافة.
- ابن فرحون المالكي. (د-ت). *الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب،،*. (محمد الأحمدي أبو النور، المحرر) القاهرة: دار التراث للطبع والنشر.
- ابن فضل الله العمري. (2002). *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار* . (حمزة أحمد عباس، المحرر) أبو ظبي: المجمع الثقافي.
- ابن مرزوق. (1981). *المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن* . (ماريا خيسوس بيغيرا،، المحرر، و محمود بوعياد، المترجمون) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- ابنالآبار. (1985). *الحلة السيراء،* . (حسين مؤنس، المحرر) القاهرة: دار المعارف.
- ابنالخطيب. (1973). *الإحاطة الإحاطة في أخبار غرناطة*. (عبد الله عنان، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ابنالخطيب. (1983). *الكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة*. (إحسان عباس، المحرر) بيروت: دار الثقافة.
- ابنالخطيب. (1980). *أوصاف الناس في التاريخ و الصلات*. (محمد كمال شبانة، المحرر) المحمدية، المغرب: مطبعة فضالة.
- ابنالزبير الغرناطي. (2008). *كتاب صلة الصلة*. (شريف أبو العلا العدوي، المحرر) القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- ابنحجر. (1993). *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة* ، . بيروت : دار الجيل.
- ابنحزم. (1982). *جمهرة أنساب العرب* . (عبد السلام محمد هارون،، المحرر) القاهرة: دار المعارف.
- ابنخلدون. (د- ت). *المقدمة،*. (عبد السلام الشدادي،، المحرر) الدار البيضاء: خزانة ابن خلدون بيت العلوم والفنون والآداب.
- ابنخلدون. (1996). *شفاء السائل وتهذيب المسائل*. (محمد مطيع الحافظ، المحرر) دمشق: دار الفكر.
- ابنخلكان. (1994). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (إحسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

- ابنقنفذ. (1965). *أنس الفقير وعز الحقير* . (تص:محمد الفاسي،أدولف فور، المحرر) الرباط: منشورات المركز الجامعي ، جامعة محمد الخامس.
- ابو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي. (1997). *الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء الأندلسي* . (محمد كمال الدين عز الدين علي، المحرر) بيروت: طبعة عالم الكتب.
- أبو الوفا الغنيمي التافتازاني. (1958). ابن عباد الرندي حياته ومؤلفاته . *مجلة المعهد المصري للدراسات الاندلسية* (6).
- أبو زكريا يحي ابن السراج. (2013). *الفهرسة* . (نعيمة بنيس، المحرر) الرباط، المغرب: دار الحديث الكتانية.
- أحمد محمد الطوخى. (1997). ، *مظاهر الحضارة فى الاندلس فى عصر بنى الاحمر*. (أحمد مختار العبادي،، المحرر) الأسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة ،.
- أحمد مختار العُبادي. (د- ت). *دراسات في تاريخ المغرب والأندلس*. الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- إسماعيل ابنالأحمر. (1968). *نثير الجمان فرائد الجمان في نظم فحول الزمان*. (محمد رضوان الداية، المحرر) القاهرة: دار الثقافة.
- البشير الريسوني. (1993). التصوف المغربي وأثره في تجديد التصوف السني بالمشرق (أبو الحسن الشاذلي نموذجا). *ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية تيارات الفكر في المغرب والأندلس الروافد والمعطيات* (صفحة المغرب). تطوان: جامعة عبد الملك السعدي.
- التمبكتي. (2004). *نيل الإبتهاج بتطريز الديباج*. (علي عمر، المحرر) القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- الحميري. (1975). *الروض المعطار في خبر الأقطار*. (إحسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.
- الخطيب إسماعيل. (1993). ابن سبعين الفيلسوف المتصوف بين بلنسية وسبتة . *ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية تيارات الفكر في المغرب والأندلس الروافد والمعطيات*. تطوان: جامعة عبد الملك السعدي.
- الزهري. (د ت). *الجغرافيا*. (محمد حاج صادوق، المحرر) القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

- الساحلي. (2003). *بغية المسالك في مذهب الإمام مالك* . الرباط : وزارة الأوقاف المغربية.
- السُبكي. (1413ه). *طبقات الشافعية الكبرى* . (محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، المحرر) بيروت: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- السمعاني. (1980). *الأنساب* . (عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، المحرر) القاهرة : مكتبة ابن تيمية.
- السيوطي. (1979). *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*. (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) بيروت: دار الفكر.
- الغبريني. (1981). *عنوان الدراية فيمن عُرف من العُلماء في المائة السابعة ببجاية*،. (رابح بونار، المحرر) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- المقري. (1968). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب* . (إحسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر .
- المقريزي. (2002). *كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية*، . القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- النباهي. (1983). *تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب " المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا "* . (لجنة إحياء التراث العربي، المحرر) بيروت: دار الآفاق الجديدة.
- جلال الدين السيوطي. (1991). *لب اللباب في تحرير الأنساب* . (محمد أحمد عبد العزيز ، أشرف أحمد عبد العزيز، المحرر) ،بيروت: دار الكتب العلمية .
- حسن إبراهيم حسن. (1968). *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- خوليان ريبرا. (1994). ، *التربية الإسلامية في الأندلس– أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية*. (الطاهر أحمد مكي، المترجمون) القاهرة: دار المعارف.
- سامي النشار. (1953). أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي الزجال وأثره في العالم الأندلسي . *مجلة الدراسات الإسلامية* .

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

- عبد الحميد الهرامة. (1993). الصراع الفكري وانعكاسه على الشعر الأندلسي. *ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية*. تطوان: جامعة عبد المالك السعدي.
- عبد الحميد الهرامة. (1986). تنبكتو نافذة على التاريخ و التراث الإسلامي . *مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، 4*.
- عبد الوهاب الشعراني. (1315 هـ). *الطبقات الكبرى - واقه الأنوار في طبقات الأخيار*. القاهرة: المطبعة العامرية.
- عمر فروخ. (1981). *تاريخ الأدب العربي*. بيروت: دار العلم للملايين.
- كارل بروكلمان. (1983). *تاريخ الأدب العربي* . (عبد الحليم النجار، المترجمون) القاهرة: دار المعارف.
- محمد الأمين بلغيث،. (1987). *الرّبط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين*. الجزائر: معهد التاريخ، جامعة الجزائر،.
- محمد الطبراني. (2014). التراث المخطوط - لأبي جعفر ابن الزيات الكلاعي . *ندوة خدمة التراث الإسلامي الواقع والآفاق*. الشارقة: الشارقة عاصمة للثقافة الإسلامية.
- محمد بن القاسم الأنصاري. (1983). *اختصار الأخبار عما كان بثغرسبتة من سني الآثار*. (تح: عبد الوهاب بن منصور، المحرر) الرباط.
- محمد حمام. (2003). قراءة في كتاب تحفة المغترب. *الرحلة بين الشرق والغرب*، . الدار البيضاء: مطبعة النجاح.
- محمد عبدالحميد عيسى. (1982). *تاريخ التعليم في الأندلس*. بيروت: دار الفكر العربي.
- مخلوف. (1349هـ). *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*. القاهرة : المطبعة السلفية.
- ياقوت الحموي. (1993). *معجم البلدان*، . بيروت : دار صادر.
- يوسف شكري فرحات. (1993). *غرناطة في ظل بني الأحمر- دراسة حضارية*. بيروت: دار الجيل.

ISSN: **2708-4663 DNNLD :2020-3/1128**

باللغة الأجنبية :

- Fernando Nicolas Velazquez Basanta .(1987) .Abu yafar Ahmad ibn al-zayyat al-kalai ,poeta mistico malagueño de los siglos XIII y XIV en la " ihata " de ibn al-jatib .*Analecta malacitana*.80-65 ،(10)
- J.Bosch Villa .(1964-1963) .Notas de toponimia para la historia de guadalest y su valle . *MEAH ، XII-XIII* ، 74 47
- Luis Seco de Lucena .(1959) .La escuela de juristas granadinos en el siglo XV .Universidad de Granada ،*MEAH ,Sección Árabe-Islam ، .Vol. 8.*
- Ma Isabel Calero,Virgilio Martínez enamorado Secall .(2004) .Rabitas y zubias malagueñas, en en La rápita en EL Islam .*Estudios interdisciplinares*, Universidad de Alicante: Imprenta das soy.
- María Isabel Calero Secal .(1990) .Un dato más sobre la Zawiya de Ibn al-Jatib .,*Al-qantara: Revista de estudios árabe.*
- Maria Isabel Calero Secall .(1987) .los Banu Sid Buna . ,*Sharq Al-Andalus: Estudios mudéjares y moriscos*) Nº.4
- Rachel Arie .(1992) .*EL Reino Nasri de Granada(1232-1492 .(*Madrid: Editorial Mapfre.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 01 بتاريخ 2020/06/10م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

العلوم الدينية بالمغرب الأدنى خلال العهد الحفصي(علم الفقه نموذجا)

د رحيم عائشة.

جامعة تلمسان

ملخص :

تميز المغرب الأدنى خلال العهد الحفصي على غرار باقي حواضر العالم الإسلامي ، بوجود جملة كبيرة من العلوم و المعارف التي شكلت المحتوى الفكري لحركته العلمية ، و قد قسم عبد الرحمن بن خلدون هذه العلوم إلى مجموعتين كبيرتين هما ، العلوم النقلية و العلوم العقلية ، و تشتمل مجموعة العلوم النقلية على علوم الدين كالفقه و التفسير و الحديث ، و العلوم اللسانية كاللغة و الأدب و التاريخ ، بينما تشتمل مجموعة العلوم على ما لم يدخل في حيز النقل من معارف كالفلسفة و الرياضيات و الكيمياء و الفلك ، غير أن أهم ما ميز المغرب الأدنى خلال هذه الفترة هو تأثير العلوم النقلية على الحياة الفكرية إذ كانت هي الرائجة ، و لذا وجه العلماء الحفصيون اهتمامهم بهذه العلوم خاصة منها علم الفقه و أصوله و الذي عرف تطورا كبيرا.

Religious sciences in lower maghreb during the period of hafsid

Abstract :

The lower Maghreb was distinguished during the Hafsid period, like the rest of the Islamic world's cities, with a large body of science and knowledge that formed the intellectual content of his scientific movement. Abdul Rahman bin Khaldoun divided these sciences into two major groups: religious sciences and mental sciences. Religion sciences such as jurisprudence, interpretation, hadith, and linguistics such as language, literature, and history. While the mental sciences group includes what did not come into the realm of knowledge such as philosophy, mathematics, chemistry and astronomy. However, the most important characteristic of the

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

lower Maghreb during this period is the influence of religious sciences on intellectual life, as they were popular. Therefore, the Hafsid scholars directed their attention to these sciences, especially the science of jurisprudence and its origins, which was a great development.

مقدمة:

شهد المغرب الأدنى منذ القرن 7-13هـ نهضة فكرية كبيرة في العلوم الدينية خاصة الفقه، حيث تعددت تأليف العلماء الحفصيين ، وكثرت تعاليقهم على مؤلفات فقهية سابقة كموطأ الإمام مالك، والمدونة لسحنون، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وغيرهم من الفقهاء, وكان للعلماء الحفصيين دورا كبيرا في توجيه الطلبة إلى دراسة الفقه والاهتمام بعلمه من عبادات ومعاملات لارتباطها الوثيق بالحياة اليومية للفرد والمجتمع، كما حفلت مساجدهم بالحلقات العلمية التي أولت عناية فائقة لتدرّيس الفقه وتعليمه خاصة وأن السلطة الحفصية لم تقف في وجه انتعاش المذهب المالكي بل شجعت العلماء على الاهتمام بالفقه وفروعه.

علم الفقه: هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسّنة، وما نصبه الشّارع لمعرفتها من الأدلّة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلّة قيل عنها فقه (ابن خلدون ، 2001 ، ص 563)، وأصول الفقه أربعة هي: القرآن والسنة (ابن خلدون، ص573) والإجماع والقياس ومن أشهر المذاهب الفقهية مذهب الإمام مالك (ابن فرحون المالكي ، 2005، ص86-94) الذي ساد ببلاد المغرب الإسلامي، ويعود انتشاره بهذه المنطقة إلى ارتحال الكثير من العلماء المغاربة إلى الحجاز، حيث تتلمذوا على الإمام مالك، ورووا عنه كتاب الموطأ، ومن هؤلاء أسد بن الفرات(142-213هـ) (عبد الله بن محمد المالكي ، 1983 ، ص 254) والإمام سحنون(240-854هـ) صاحب المدونة التي كتب عنها أهل المغرب كثيرا، ولما وصل كتاب بن

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الحاجب إلى حواضر المغرب الإسلامي عكف طلابها على دراسته بتشجيع من العالم الفقيه أبي علي ناصر الدين المشدالي. (ابن خلدون، 2001، ص 571)

ومن أشهر الفقهاء الحفصيين وأبرزهم من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري(13-16م) نذكر:

-ابن زيتون: (**620. 691**) أبو الفضل أبو القاسم بن أبي بكر بن مسافر بن أبي بكر بن أحمد اليمني بن زيتون، اسمه أبو القاسم ويكنى بأبي الفضل، المدرس الشهير والعالم الكبير، مجدد الطريقة التعليمية بتونس. ولد بحاضرة بني حفص وتفقه بها وحصل فيها الأصول وعددا من العلوم ثم رحل إلى المشرق سنة 648 وهو في الثامنة عشرة من عمره وأخذ في هذه الرحلة عن شمس الدين الخسرو شاهي وعز الدين عبد السلام وغيرهما وحج ورجع إلى تونس بحفظ كبير وعلم واسع. وكانت له رحلة ثانية إلى المشرق سنة 656 بعد ثمان سنوات من الرحلة الأولى، أقام فيها بالقاهرة مدرسا بالمدرسة الفاضلية وبمدرسة صاحب بن شكر ثم حج ورجع إلى تونس حيث عين قاضي القضاة، وكان يدرس فتغص حلقته بالناس إذ اشتهر بالنظر والاجتهاد والاعتماد العقل والابتعاد عن طريقة الرواية والحفظ التي كانت معتمدة قبله بتونس، وقد نوه ابن خلدون بتجديده العلمي في التدريس ودعا لطريقته التعليمية كما أن العبدرى عبر عن تأثير دروسه في الطلبة وأشار إلى المكانة التي كان يحظى بها في تونس وقال عنه: " قطب أصولها وفروعها، والمرجوع إليه في أحكامها غير مدافع ولا منازل" (الزركشي ، 1966 ، ص 45)

-محمد بن عبد السلام: (**676. 749**) أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير المنستيري الهواري التونسي، أستاذ ابن خلدون وابن عرفة، " لم يكن في بلده في وقته مثله، حسب قول ابن فرحون"، " والبحر المتلاطم الأمواج (...) وحيد الآوان وعلامة الزمان والمشار إليه بالبنان والبيان" حسب قول البلوي: كان قبلة الطلاب ورواد العلم من كل مكان لتبحره في الأصول والكلام والعربية والبيان، ولنبذه في دروسه طريقة التلقين واعتماده التعليل والاستنتاج، وقد حضر دروسه العلماء المغاربة الذين صحبوا أبا الحسن المريني إلى تونس وتأثروا بطريقته.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

كان يدرس بالشماعية ولما بنت فاطمة أخت السلطان أبي يحي أبي بكر مدرسة عنق الجمل طلبت من أخيها أن يكون ابن عبد السلام مدرسا بمدرستها فأسعفها فكان يقسم الأسبوع بين المدرستين لكنه عزل عن مدرسة فاطمة إذ اتهمته بالتفريط، وكان يلتقي بمنزله بتونس بالعلماء والطلبة لقاءات علمية، تولى محمد ابن عبد السلام الخطابة بجامع الزيتونة نيابة عن أبي موسى هارون الحميري في مرضه لكن ابن عبد الرفيع القاضي الجماعة أخره وقدم غيره لأنه ليس من الحاضرة، لكنه الحظ أسعفه فيما بعد فنال قضاء الجماعة سنة 734 بعد أن سعى إليه بنفسه وبقي في هذا المنصب مدى خمس عشرة سنة إلى وفاته. وقد ألف كتبا منها " تنبيه الطالب لفهم ألفاظ جامع الأمهات لابن الحاجب" في فروع الفقه المالكي في مجلدات، وأقبل عليه الطلبة وكان متداولا بين الأيدي في زمانه حتى بالأندلس مما يدل على تأثيره في الأوساط العلمية بالمغرب. وله اختصار لهذا الكتاب وديوان فتاوى. توفي بالطاعون واحتمله طلبته إلى قبره حفاة مزدحمين على نعشه. (الزركشي، 1966، ص 67-71)

-محمد القلشاني (753. 837) أبو عبد الله محمد بن عبد الله القلشاني نسبة إلى قلشانة من قرى القيروان، من عائلة مشهورة بباجة، جاء منها إلى تونس وتولى بها خططا سامية كقضاء الأنكحة والإنشاء والتدريس بمدرسة عنق الجمل، وعين قبل ذلك قاضيا بمدينة قسنطينة، تخرج على يديه عدد وافر من العلماء خاصة أبناه أحم وعمر، كان ينشطهما للدرس ويحثهما عليه بالشعر والنصائح، له وصية قصيرة أوصى بها ابنه أحمد.

ولد في 17 ذي القعدة 753 وتوفي بتونس يوم الثلاثاء 11 ربيع الثاني 837 عن أزيد من ثلاث وثمانين سنة. (الزركشي 1996، ص 115)

-الزنديوي: (ت 874) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عيسى العقدي الزنديوي التونسي، المدرس بمدارس المعرض وصولة (بزنقة سيدي محرز) والشماعية. والخطيب والمفتي بجامع باب الجزيرة بالعاصمة ثم بجامع التوفيق منذ 19 شعبان 863.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

تولى قضاء قسنطينة مدة سبع عشرة سنة إلى جمادي الأولى سنة 855. ثم قضاء باجة، ثم سمي قاضي محلة في أواسط جمادى الثانية سنة 856 إلى أول ليلة من جمادى الثانية سنة 857. وقدم لقضاء الأنكحة سنة 864. توفي في 5 جمادى الأولى سنة 874 ودفن بجبل المرسى وقد عمر.

ومن تأليفه شرح لمختصر ابن عرفة ورسالة في الفرائض وفوائد جمعها له الرصاع وفتاوى منقولة في المارونية و" المعيار" للونشريسي.

أبو الحسن علي الشهير بابن الزيات: فقيه من حفاظ المذهب المالكي، ولد ونشأ وتعلم بالأندلس ثم رحل إلى بجاية فاستوطنها وتصدّر للتدرّيس والإقراء بها حيث كانت تقرأ عليه كتب الفقه المالكي كالتهذيب للبراذعي والتلقين لعبد الوهاب والتفريغ للجلاب والرسالة لأبي زيد القيرواني. (حبيب رزاق، 2005، ص 121)

أحمد بن عثمان عبد الجبار المتوسي المليانى البجائي: فقيه، أصله من مليانة، أخذ العلم عن شيوخ بلده ثم رحل إلى المشرق لطلب العلم والاستزادة فلقي أفاضل العلماء والفقهاء، استقر ببجاية وتصدّر للتدرّيس والإقراء بها، له علم بالفقه والعربية وأصول الدين، توفي بمليانة سنة644هـ/1246م، من تأليفه "تقييدات" على كتاب التلقين للإمام محمد بن علي بن عمر المازري المتوفى سنة 536هـ. (عادل نويهض ، 1980 ، ص 314)

أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي: فقيه، محدث من قلعة بني حماد، برع في العديد من العلوم الدينية، استوطن بجاية وبها أخذ العلم عن أبي العباس المليانى وأبي زيد اليزناسي وأبي زكرياء اللقتيني وغيرهم، ثم تصدّر للتدرّيس والإقراء بالجامع الأعظم حيث كان يبدأ بالرقائق وبعد ذلك بقراءة الفقه والحديث والرّواية، من تلاميذه أحمد الغبريني الذي أثنى عليه في قوله:" أدركته يدرّس بالجامع الأعظم، وكان حافظا للتاريخ، وهو أول من بدأت قراءة الفقه والحديث والرواية عليه، وكانت له وجاهة ونباهة"، توفي سنة669هـ/ 1271م.

أبو يوسف بن عبد السلام يعقوب الزواوي المنجلاتي:(ابن خلدون، 2000، ص 200) عالم فقيه، اشتهر بتفوقه في الفقه المالكي الذي درّسه بحاضرة بجاية وغيرها من حواضر المغرب الإسلامي،

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

قال عنه الغبريني:" أقرأ ببجاية وظهر أمره واشتهر، وكان مجلسه من المجالس المعتبرة، وكان أحد المفتين والمشاورين في وقته، وزاره بعض الملوك في منزله"، توفي سنة690هـ/1291م. (الغبريني، 1981، ص226)

أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي: ولد العالم الفقيه ناصر الدين سنة631هـ/1234م،رحل صغيرا مع والده إلى المشرق حيث قرأ وتفقه ما يزيد عن العشرين سنة، لقي خلالها كبار المشايخ والعلماء أمثال شمس الدين الأصفهاني وعز الدين بن عبد السلام وغيرهما، كان عالما في الفقه وأصوله وعلم المنطق واللغة، ويعتبر أول من نقل مختصر ابن الحاجب الفرعي في الفقه إلى المغرب بعد أن قرأه على أصحابه بمصر ونسخ مختصره ثم نشره بين تلاميذه ببجاية، لم يكن ناصر الدين المشدالي يعتني كثيرا بالتأليف بل كان يفرغ جهوده للتدرّيس والتعليم ولذلك لم يترك من المؤلفات إلا شرحا غير تام على رسالة أبي زيد القيرواني، توفي سنة731هـ/1331م. (الحفناوي ، 1991 ، ص307)

أبو الروح عيسى بن مسعود المنجلاتي الزواوي: عالم فقيه ولد ببجاية عام 664هـ/1266م وبها تفقه عن جماعة من العلماء الأجلاء من بينهم أبو يوسف يعقوب الزواوي، ثم رحل إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة حيث أصبح مدرسا للفقه المالكي بالجامع الازهر، من تآليفه في الفقه المالكي" شرح على مختصر بن الحاجب في سبعة مجلدات. (بوعرفة الهلالي، 2004، ص 56)

أبو عبد الله محمد بن يحي الباهلي البجائي: فقيه وقاضي من كبار فقهاء المالكية، ولد ونشأ ببجاية، أخذ عن الشيخ ناصر الدين المشدالي وأخذ عنه المقري الجد وأثنى عليه، قال عنه صاحب نيل الابتهاج:" من فصحاء الفقهاء وأجوبته في الفتيا تدل على مكانته العليّة وسيادته السنية" من آثاره "حواش" على مختصر ابن الحاجب في الفقه، "شرح أسماء الله الحسنى" وله قصيدة سمّاها "نظم فرائد الجواهر في معجزات سيد الأوائل والأواخر"، توفي سنة 744هـ/1343م. (ابن مريم، 1986، ص227)

أبو موسى عمران بن موسى المشدالي البجائي: ولد سنة670هـ/1272م، نشأ ببجاية وتلقى تعليمه بها على يد ناصر الدين المشدالي وغيره من علماء بلده، انتقل إلى مدينة الجزائر، ومنها إلى

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

تلمسان حيث ولاه السلطان أبو تاشفين الأول التدرّيس بالمدرسة التاشفينية، برز في الفقه والحديث والمنطق والفرائض والأصلين، كان أعلم معاصريه بمذهب الإمام مالك، اكتفى بالتدرّيس ولم يخلف آثار تذكر في التأليف إلا ما نقل عنه الونشريسي من فتاوى في المعيار، توفي سنة745هـ/1345م. (التنسي، 1985، ص 141-التنبكتي، ص 215)

أبو البركات محمد بن أبي بكر: عالم وفقيه، ارتحل من الأندلس إلى بجاية في القرن الثامن الهجري واستقر بها بعد أن درّس في العديد من الحواضر الأندلسية كالمرية ومالقة، وفي بجاية استفاد الطلبة من دروسه ومواعظه الفقهية ودراسة كتابه في الفقه المسمى:" المدخل في الفقه المالكي". (الزركشي، 1966، ص 104)

أحمد بن إدريس البجائي: فقيه مالكي من كبار العلماء ببجاية في وقته، متقن للعديد من العلوم الدينية، أخذ عنه العلم جماعة من العلماء الأجلاء منهم يحي الرهوني وعبد الرحمن الوغليسي وابن خلدون، من تآليفه في الفقه " شرح على ابن الحاجب في الفروع"، نقل عنه ابن عرفة وأحمد بن زاغو ومحمد بن بلقاسم المشدالي ، توفي بعد سنة 760هـ/1359م. (بن منصور ، 1983 ، ص 331)

أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي: الفقيه الأصولي المحدّث المفسّر، نشأ وتعلم ببجاية على يد علماء أجلاَء منهم أحمد بن إدريس البجائي وأحمد بن عيسى بن سلامة، أتقن علوم عصره من العلوم الدينية واللسانيّة ثم مال إلى الفقه وبرع فيه وأصبح من خطاب الجامع الأعظم ببجاية حيث كان يلتف حوله الطلبة والعلماء من كل حدب وصوب، أخذ عنه عبد الرحمن بن خلدون و أبو القاسم المشدالي وغيرهم، لم يكتف الوغليسي بالتدرّيس وإنما كان له العديد من التآليف منها:" المقدمة الوغليسية" وهي عبارة عن أحكام فقهية ظلت مرجعا أساسيا يعتمد عليه الطلبة والفقهاء في معظم الحواضر المغربية لا سيما حاضرة بجاية، توفي سنة 786هـ/1384م. (التنبكتي2004 ص 168)

بلقاسم بن محمد بن عبد الصمد الزواوي المشدالي: عالم فقيه، أخذ العلم عن الإمامين أحمد بن عيسى وعبد الرحمن الوغليسي وغيرهما، كان من حفاظ المذهب المالكي وهو في بجاية كالبرزلي بتونس، أخذ عنه ابنه أبو عبد الله مكمل حاشية الوانوغي وأبو زيد الثعالبي والمجاري الذي قال عنه:" وممن قرأت عليه ببجاية الشيخ الكبير النظار أبو القاسم المشدالي تلميذ الإمام الورع الزاهد أبي زيد عبد

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الرحمن الوغليسي، قرأت عليه حظا وافرا من بيوع ابن الحاجب بالجامع الأعظم تفقها، وسمعت عليه بعض تلخيص ابن البناء كذلك". (المجاري، 1982، ص 137)

إبراهيم بن فائد بن موسى الزواوي البجائي القسنطيني: ولد في جبل جرجرة سنة 796هـ، ارتحل إلى بجاية وبها أخذ العلم على العديد من شيوخها ثم انتقل إلى تونس لطلب العلم والاستزادة، فدرّس على الأبي والقلشاني والزغبي والغرياني، ثم رجع إلى بجاية حيث درَس بها بعض الوقت واختار بعد ذلك مدينة قسنطينة مستوطنا له، له شرحا على مختصر خليل بن إسحاق في مجلدات سمّاه" تسهيل السبيل في مختصر خليل" وشرحا آخر في مجلدين سمّاه "فيض النيل"، توفي سنة857هـ/1453م. (الحفناوي ، 1991 ، ص 147-248 ، عبد الحميد حاجيات ، 1984 ، ص 443)

أبو عبد الله بن أبي القاسم المشدالي: عالم فقيه، من كبار فقهاء المالكية، نشأ وتعلم ببجاية، تضّلع في العديد من العلوم الدينية فبلغ درجة الاجتهاد حيث كان يضرب به المثل فيقال:" أتريد أن تكون مثل أبي عبد الله المشدالي"، خطب بالجامع الأعظم وتصدّر فيه وفي غيره للتدرّيس، من تآليفه الفقهية " تكملة حاشية الوانوغي" على تهذيب المدونة للبراذعي، وله شرحا لمختصر ابن الحاجب، وشرحا آخر على مختصر ابن عرفة سماه مختصر المختصر، توفي سنة866هـ/1460م. (عادل نويهض ، 1980، ص 301)

عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي أبو زيد: ولد سنة 786هـ ونشأ بناحية وادي يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر (الحميري ، 1975 ، ص163 ، الحموي ، 1957 ، ص 132)، أخذ العلم بها ثم رحل في طلب العلم فدخل بجاية سنة 802هـ/1399م وأخذ العلم عن العديد من علمائها منهم أبو العباس النقاوسي، وأبو الحسن البليلتي، وأبو الحسن علي بن عثمان المنجلاتي، وأبو الربيع سليمان بن الحسن، وعلي بن موسى، وأبو القاسم المشدالي، ثم ارتحل إلى تونس ومصر وتركيا ومنها إلى الحجاز، فأخذ عن أجلّة علمائها، وعند عودته إلى المغرب الأوسط تولى القضاء ثم استقال من منصبه وتفرغ للتدرّيس والتألّيف ، برع الثعالبي في العديد من العلوم الدينية وترك ما يزيد عن تسعين مؤلفا في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ. ومن إسهاماته في الفقه المالكي شرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، وتعليقه وشرحه على مختصر ابن الحاجب الفرعي (السخاوي، 1953، ص

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

25) وكتاب جامع الأمهات في أحكام العبادات وروضة الأنوار ونزهة الأخيار، وصفه التنبكتي قائلا:" على قدر المدونة فيه لباب من نحو ستين من أمهات الدواوين المعتمدة وهو خزانة كتب لمن حصله"، توفي سنة 875هـ/1470م.

أصول الفقه: يقصد بها ضبط القواعد الأساسية التي يستطيع المسلمون بها فهم أدلة الشريعة ليأخذوا منها الأحكام التفريعية. (خالد بلعربي ، 2005 ، ص 233) ومن أبرز العلماء الذين اعتنوا بهذا العلم نذكر منهم:

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المهري البجائي: فقيه أصولي، كان أعلم معاصريه في أصول الفقه حتى اشتهر بالأصولي، ارتحل إلى المشرق وأخذ عن العديد من علمائه ثم رجع إلى بجاية، ولي القضاء والتدرّيس والإفتاء بمساجد بجاية ذكره بن الآبار وأثنى عليه: " كان علم وقته علما وكمالا وتفننا، يتحقق بعلم الكلام وأصول الفقه حتى شهر بالأصولي واعتنى بإصلاح المستصفى لأبي حامد الغزالي وأزال ما كان فيه من تضعيف وذلك في تقييد جد مفيد"، توفي ببجاية سنة 612هـ/1216م.

أبو المطرف أحمد بن عبد الله ابن عميرة المخزومي: فقيه أديب ولد بجزيرة شقر سنة 582هـ بالأندلس وبها أخذ العلم، انتقل إلى بجاية عام 645هـ واستوطنها ودرّس في مسجدها الجامع، برع في العديد من العلوم منها في أصول الفقه لكنه أوسع معرفة بالأدب، له تعليق على كتاب المعالم في أصول الفقه للخطيب فخر الدين الرازي في عشرة أبواب، استفاد منه الطلبة أثناء وجوده ببجاية حيث كانوا يدرسون عليه كتاب السهروردي وهو من معلقات علم الفقه، ومؤلفات أخرى توفي سنة658هـ1260م. (الغبريني، 1981، ص250)

أبو علي عمر بن أحمد العمري البجائي: عالم بالأصول من فقهاء المالكية، ولد ونشأ وتعلّم في بجاية، رحل إلى المشرق ليتزود أكثر بالعلم والمعرفة ثم رجع إلى بجاية فجلس للتدرّيس بها، قال عنه الغبريني:" وشارك العالم أبا الحسن الحرالي في جملة من مشايخه الذين قرأ عليهم بالمشرق، وأخبرني بعض الطلبة أنه رأى له-تقييدا-رد فيه على الوصية التي أوصى بها فخر الدين بن الخطيب الرازي عند موته"، توفي ببجاية بعد عام 665هـ/1265م. (عادل نويهض، 1980، ص39)

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري: عالم فقيه من كبارفقهاء المالكية، رحل إلى المشرق للإستزادة وطلب العلم ثم رجع إلى بجاية، ولي القضاء بها وجلس للتعليم والتدرّيس بمساجدها أثنى عليه الغبريني:" دروسه منقحة الإيراد، يبدأ بقراءة الرقائق أولا بعد ذلك بالفقه وأصول الفقه، وكان يؤثر قراءة كتب فخر الدين الرازي على غيرها من كتب المتقدمين والمتأخرين" توفي بتونس سنة 682هـ/1282م.

أبو علي حسن بن حسين البجائي: عالم فقيه من كبار فقهاء المالكية، أخذ العلم ببجاية عن الفقيه ناصر الدين المشدالي، وأخذ عنه المقري الجد وأثنى عليه، من تآليفه الرسالة الفقهية التي رد فيها على ابن الرفيع إبراهيم في مسألة ثبوت الشرف من جهة الأم، وله شرح كتاب المعالم في أصول الفقه لفخر الدين الرازي، توفي سنة 754هـ/1354م. (ابن قنفد، 1968 ، ص 357)

يحي بن موسى الرهوني: عالم فقيه، كان ضليعا في علم أصول الفقه وهو ما سمح له بالتدرّيس بمساجد بجاية، ثم انتقل إلى القاهرة حيث انتفع به خلق كثير، لم يكتف بالتدرّيس وألف كتابه في أصول الفقه على المذاهب الأربعة، استقر بالمشرق إلى أن توفي عام 754هـ/1353م (عادل نويهض ، 1980، ص203).

أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي: عالم وفقيه أصله من الأندلس، أسهم في أصول الفقه بكتاب الموافقات الذي يصفه صاحبه بأنه تأليف جليل الاعتصام، توفي سنة 790هـ1388م. (الشاطبي، 1986، ص 30)

المصادر:

1 ابن الآبار (أبو عبد الله محمد)، التكملة لكتاب الصلة، حققه ونشره عزت العطار الحسيني، الجزء الثاني، القاهرة.

2 ابن أبي دينار(1993م)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، دار المسيرة، لبنان،

3 ابن الحاجب(2006م) مختصر منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل، تحقيق حمادو نذير، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار ابن حزم للطباعة والنشر،

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

4 ابن خلدون (2001م) مقدمة ابن خلدون، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت

5 ابن خلدون (20007م) التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تعليق محمد بن تاويت الطنجي، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر

6 ابن خلدون (2000) العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الجزء السادس والسابع، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان،

7 ابن الشماع (1984) الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس

8 ابن فرحون المالكي، (2005م) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ج2، مكتبة دار التراث، القاهرة،

9 ابن القاضي (1971) ذيل وفيات الأعيان المسمى ذرة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق أبو النور محمد الأحمدي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، المكتبة العتيقة، تونس

10 ابن قنفذ القسنطيني (1968مالفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر التركي، الدار التونسية للنشر، تونس.

11 ابن قنفذ (1982م) الوفيات، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة الوطنية نويهض الثقافية للتأليف والترجمة، بيروت.

12 ابن مخلوف (1349ه) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة ..

13 ابن مريم الشريف(1986م) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى بنشره محمد بن أبي شنب، تقديم طالب عبد الرحمن ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

14 احمد بابا التنبكتي (1351هـ) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، هامش على ديباج ابن فرحون، الطبعة الأولى، مطبعة الفحامين، القاهرة ..

15 التنبكتي (2004م) كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، الجزء الأول والثاني، الطبعة الاولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

16 التنسي(1985م) تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان، تحقيق بوعياد محمود، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

17 الحفناوي أبو القاسم محمد(1991م)، تعريف الخلف برجال السلف، الجزء الأول والثاني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.

18 الحميري (1975م) الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت.

19 الحموي (1975م) معجم البلدان، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت.

20 الحنبلي بن عماد(1997م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الجزء الرابع والخامس، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت.

21 الزركشي (1966م) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق ماضور محمد، الطبعة الثانية، المكتبة العتيقة، تونس.

22 السراج الوزير(1985م) الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق محمد الحبيب هيلة، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

23 الشريف سيدي موسى(2001م)، الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع إلى بداية القرن العاشر الهجري، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر،

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

24 العبدري محمد(2007م)، الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، الطبعة الاولى، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر.

25 الغبريني أبو العباس (1981م) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

26 المقري أحمد(1939م) "أزهار الرياض في أخبار عيَاض"، تحقيق السقا مصطفى الأبيري إبراهيم، ج5، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة.

26 المطوي محمد العروسي(1981م) الحروب الصليبية: فصل الاتفاقية بين المنتصر والصليبيين، نشر بمجلة " الحياة الثقافية" عدد 15,16.

27أبو القاسم محمد الحفناوي(1991م) تعريف الخلف برجال السلف، ج2، تقديم محمد رؤوف القاسمي.

28بلعربي خالد(2005م) الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية 633-681هـ/1231-1282م، الطبعة الثالثة، الجزائر.

29حاجيات عبد الحميد(1984م) الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

30 رابح بونار، عبقرية المشداليين العلمية في بجاية على عهدها الإسلامي الزاهر، مجلة الأصالة، العدد19.

31 روبار برانشفيك(1983م) تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13هـ إلى نهاية القرن15م، تر،حمادي الساحلي، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

32 عبد الله بن محمد المالكي (1983م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تحقيق بشير البكوش، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

33 عادل نويهض(1980م) معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، الطبعة الثانية، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت.

34 عبد القادر بوعرفة (2004م) أعلام الفكر والتصوف بالجزائر ما قبل الميلاد إلى القرن السادس عشر ميلادي، ج 1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر.

35 عمار هلال(1995م) العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية ما بين القرنين الثالث والتاسع عشر الميلاديين(3-19م)"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

36 رضا كحالة، (دت) معجم المؤلفين، ج3، دار إحياء التراث للطباعة والنشر.

37 مصطفى الشكعة(1991م) الإمام مالك بن أنس، ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت،

38 منصور عبد الوهاب (1983م) أعلام المغرب العربي، الجزء الثالث والرابع، المطبعة الملكية، الرباط.

39 محمد حجي (1996م) موسوعة أعلام المغرب، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 01 بتاريخ 2020/06/10م

ISSN: **2708-4663 DNNLD :2020-3/1128**

الاضطرابات العصبية في المغرب وانعكاسها على الاندلس

د/ عمر بوخاري

جامعة ابن خلدون – تيارت – الجزائر.

الملخص :

بالرغم مما بُذل من جهد في محاولة إخماد سياسة العداء الموروث منذ العهود الاولى بين العرب والبربر، الاّ انها استمرت مشتعلة في اتجاه تصاعدي، نتيجة لسوء سياسة ولاة بني أمية حيال البربر، فأدى ذلك الى مرحلة عصيبة في العلاقات بين العنصرين العربي والبربري، فساد بينهما النفور والتوتر، الذي أذكاه بعض الولاة كعبيد الله بن الحبحاب الذي ابان عن عدائه للعناصر البربرية، مما ادى الى المواجهات المسلحة التي مني فيها الجيش العربي بالهزيمة، وفي هذه الاثناء كان صدى المواجهات قد امتد الى الاندلس، وكاد البربر ان يسيطروا على الوضع، لولى نجدة الجيش العربي بقيادة بلج بن بشر القشيري .

الكلمات المفتاحية: العرب ، البربر، الولاة ، الاندلس ، المغرب

Tensions in Morocco and their impact on Andalusia

Dr. Omar Bukhari

University of Ibn Khaldoun - Tiaret – Algeria.

Abstract:

Despite the efforts exerted in trying to mitigate the policy of hostility inherited from the earliest times between the Arabs and the Berbers, it continued burning increasingly, as a result of the poor policy of the Umayads towards the Berbers. This led to a difficult stage in the relations between the Arabs and Berbers. Aversion and tension which was intensified by some of Bani Umayad rulers led to armed confrontations in which the Arab Army was defeated. In this time, clashes spread to Andalusia, and the

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

Berbers would have almost controlled the situation, had it not been for the help of the Arab army, which came from the east

Keywords: Arabs, Berbers, Governors, Andalusia, Morocco

مقدمة:

عانت بلاد المغرب والاندلس كغيرها من الامصار الاسلامية من الاضطرابات السياسية المنبعثة من الخصومات القبلية بين القيسية واليمنية (ابن حزم، 2007، ص481، 487- عمر فروخ، 1970، ص197)، وتوالت معها سياسة الحيف والاستبداد التي مارسها خلفاء بني امية في الامصار الاسلامية، والتعصب للعنصر العربي وتفضيله على الموالي، أي العناصر غير العربية التي اعتنقت الاسلام ومنهم البربر، حيث كان العرب يتمتعون بجميع الامتيازات والحقوق التي حرم منها البربر في احيان كثيرة، رغم مشاركتهم في الاعمال الجليلة التي قام بها الفاتحون العرب في بلاد المغرب والاندلس . فقد حملوا اعباء الفتح في الاندلس وقتل منهم في هذا السبيل اعداد كثيرة فاقت اعداد من قتل من العنصر العربي. (مؤنس، 2005، ص135)، وهي السياسة القائمة على مبدأ المفاضلة، وذلك بتقديم العنصر العربي على حساب العناصر من الاجناس الاخرى، واعتبروهم في حكم الموالي، وعاملوهم معاملة الموالي التي لم تكن تعني لديهم سوى التبعية أو الالحاقية. (فيلالي، 2008، ص22) ولم يلتفت العرب الى افضال القبيلة البترية من البربر وما قدمته من جهود مضنية لإنجاح عملية الفتح، ولم يميزهم عن البرانس الذين قاوموهم مقاومة عنيفة ولم يلقوا السلاح إلا بعد ان يئسوا من امداد البزنطيين لهم.

خلفيات الصراع بين القيسية واليمنية:

الحقيقة ان ما مسّ البربر من حيف واضطهاد ، فقد امتدّ اليهم من أتون الخصومات القبلية بين القيسية واليمنية، وهي خصومات حملها الطرفان بين جنباتهم الى بلاد المغرب، فلم تعزب عنهم موقعة "مرج راهط" فقد ظلت عالقة في مخيالهم الجماعي، فهي الواقعة التي تفجر فيها الصراع بين القيسيين الداعمين لثورة عبد الله بن الزبير، الذي أعلن نفسه خليفة للمسلمين، وبين اليمنيين المتشبثين بأهداب

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الامويين، وانتهت المعركة، بهزيمة القيسيين، وقتل من رجالهم وزعمائهم ما يزيد عن ثمانين من بينهم الضحاك بن قيس الفهري، الذي كان من كبار زعماء القيسية.

ولابن الاثير وصفا دقيقا لهذه الموقعة قوله:".. وتحارب مروان والضحاك بمرج راهط عشرين ليلة واقتتلوا قتالا شديدا فقتل الضحاك.....وقتل معه ثمانون رجلا من اشراف أهل الشام، وقتل اهل الشام مقتلة عظيمة." (ابن الأثير، 1987، ص480)

لتبرز هذه المنازعات من جديد مع استقرار الفاتحين من العرب اليمنية بالمغرب، وهم الذين آزروا موسى بن نصير اثناء ولايته (محمود إسماعيل، 1985،ص31)، ولما عزله سليمان بن عبد الملك، وعين بدله محمد بن يزيد، بمشورة رجاء بن حيوة، (ابن عبد الحكم، 1964، ص86) وكان من القيسية، وعلى الرغم من سيرته الحسنة، وسمعته الطيبة، الاّ انه بعد اعتلائه سدّة الولاية شرع في تجفيف منابع نفوذ آل موسى، وتتبع آثرهم، فقد كتب اليه سليمان بن عبد الملك أن يأخذ آل موسى بن نصير، وكلّ من التبس بهم حتى يوافوا ثلاث مائة ألف دينار، ولا يرفع العذاب عنهم، فقبض على عبد الله بن موسى ، فحبسه في السجن، ثمّ أمر سليمان بضرب عنقه، فتولى خالد بن حبيب ضرب عنقه. (الرقيق، د.ت، ص60)

هذا على الرغم مما أبدياه من الالتزام بتعاليم الاسلام والوقوف عند حدوده، حيال الرعية أثناء مراسيم التعيين، كما في النص الذي أورده ابن عذاري :"...فقال سليمان يا محمد ابن يزيد اتق الله وحده لا شريك له، وقم فيما وليتك بالحق والعدل وقد وليتك أفريقة والمغرب كلّه" قال فودعته وانصرف، وهو يقول:" ما لي عذرعند الله إن لم أعدل." (ابن عذاري، 2009، ص47)

لقد كانت هذه ضربة قاسمة، وفاجعة لآل موسى، واتباعهم من اليمنية، إذ أحيت في نفوسهم فصول ذلك السجال الذي مكّنهم من الانتصار على القيسية في موقعة "مرج راهط"، فظّلت مراجل الحقد تغلي في صدورهم على غرمائهم من القيسية ، وتحركت في قلوبهم ثارتها (مؤنس، 2005، ص130)، وعادت الضغينة والاحقاد بين الفريقين، رغم الفترة الزمنية البعيدة التي تفصلهما عن هذه الموقعة، فقد نشب الصراع من جديد، وكرّت بمثل اواليها – من الاسباب في مواطنهم الاصلية،– في بلاد المغرب، وتعمق الخلاف وزاد التنافس بينهما للاستلاء على السلطة، والانفراد بمقاليد الحكم، والاستحواذ

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

بالمناصب الوظيفية الحساسة في الدولة، والتقرب من الخلفاء والأمراء، ونيل الحظوة والجاه، وكسب الثقة منهم ومن حاشيته وأعوانهم. (فيلالي،2008، ص30) وعمت الاحقاد وهمّ كلّ فريق بالآخر، وساد الشك والحذر، حتى لم يشق بلد من بلاد المسلمين بهذه النزاعات العصبية كما شقي بلاد المغرب والاندلس، وغدت أحد اسباب تململ فلول القوط المتوارية عن انظار الفاتحين لتشرع في مقارعة العرب جيل بعد جيل، حتى انتهت بخروجهم من البلاد قاطبة، كما ادّى سلوكهم هذا الى ثورة البربر عليهم، وما كان هذا ليحدث لو أنهم بذلوا قصارى جهدهم في اتمام فتح العدوتين وملأوا الثغور. (مؤنس، 2005، ص131)

توالت محن الكلبيين، وتزايدت معاناتهم بحلول يزيد بن أبي مسلم، وتعيينه على رأس ولاية المغرب، وقد عرف بعصبيته القيسية المتشددة، فكان ظلوما غشوما قليل الكياسة، (ابن عذاري، 2009، ص48) وسار في الرعية سير الحجاج مع الرعية في العراق وبلاد الشام، إذ كان كاتبه وصاحب شرطته فحذا حذوه في سوء المعاملة والاضطهاد، وأخذ اموال الناس بغير وجه حق (ابن أبي دينار، 1387هـ، ص39)، ولم تستثن آلته الاقصائية من ملاحقة من تبقى من آل موسى، بل أحكم قبضته عليهم، واعتبرهم جزأ من الخمس يتبع لبيت المال ، وقام بإحصاء أموالهم وأولادهم، وقضى على كل جاه لآل موسى في بلاد المغرب (ابن عبد الحكم، 1964، ص87). ولو اقتصر الأمر على الحي الآخر من المعادين لعصبتيه لهان الامر، ولكن يداه امتد الى عصب آخر وهم البربر، وساقه سوء تدبيره الى قرار كان فيه حتفه، حيث اراد أن يخضع حرسه هذا الى تنظيمات دقيقة تجعل له مكانته وهيبته كممثل أول للخليفة في دمشق، وذلك باتباع التقليد البيزنطي الذي كان يميز قوات الحرس بكتابة اسم الرجل بالوشم في راحة يده اليمنى وصفته "حرسي" في راحة يده اليسرى حتى يعرفهم الناس فيسرعون الى تنفيد اوامر الوالين، (ابن عبد الحكم، 1964، ص88) خطب في الناس ذات يوم فقال: " إني رأيت أن أوسم حرسي في أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسي، فأرسم في يمين الرجل اسمه، وفي يساره" حرسي" ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس، فإذا وقفوا على أحد ، أسرع لما أمرت به". (ابن عبد الحكم، 1964، ص48)

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

بهذه السياسة ادار الولاة شؤون الرعية، ولم يقدروا موطئ اقدامهم قبل الخطو، ولا عاقبة ما اقدموا عليه، واتخذوا قرارات عجلت بنهاتهم. فيزيد بن ابي مسلم بهذا الفعل الشنيع، قد اساء للبربر وأهدر كرامتهم، بأمر لم يألفوه من قبل، فثارت ثائرة البربر، وحز ذلك في نفوسهم، وشعروا بالمهانة، واتفقوا على قتله، وقالوا جعلنا بمنزلة النصارى. (ابن عبد الحكم، 1964، ص48) وعند قدوم بشر بن صفوان، (ابن عبد الحكم، 1964، ص49) ألفاها مضطربة تعج بالفتن، وقد طبعها جو من الشك والحذر خصوصا بعد مقتل يزيد بن ابي مسلم على يد البربر، ومارس بشر سلطته واستطاع ان يخمد الفتن بسبب ما أنفق من جهد وقسوة بالغة وعقّب أحد الباحثين على القبضة الحديدية قائلا: "ولم يسرف احد من عمال بني أمية الكلبيين في العصبية لقومه كما فعل بشر، فقد اشتد في ذلك شدّة ملأت نفوس القيسيين عليه حقدا".(مؤنس، 2005، ص143)، الا انّه سار هو الآخر في استكما مشوع الملاحقة والتصفية لآل موسى، فقام بقتل عبد الله بن موسى لاتهامه بالتحريض على قتل يزيد بن أبي مسلم بإيعاز من الخليفة يزيد بن عبد الملك. (ابن عبد الحكم، 1964، ص90) وتابع عماله بالتعذيب والمصادرة. (ابن عبد الحكم، 1964، ص91) وبلغت قسوته الآفاق، وتحدثت بها الركبان، حتى صار الناس يتمنون موته بفارغ الصبر، وكان هو يشعر بذلك، ومن دلائل هذا ما يذكره ابن الرقيق القيرواني، وابن عذاري:" لما حضرته الوفاة، قالت جاريته: وا شماتة الاعداء" فقال لها:" قولي للأعداء لا يموتوا".(الرقيق، د.ت، ص65)

وما كادت الايام تصفو للكلبيين، حتى قلبت لهم الايام ظهر المجن، عندما قدم عليهم عبيدة بن عبد الرحمان السلمي، فبيت النية على البطش، وأشهر سيف الانتقام بعمال بشر بن صفوان. (محمود إسماعيل، 1985، ص32) ولاحقهم وامر جنوده بالقبض عليهم وحبسهم بالضرائب ومصادرة الاموال، يقول النوري صاحب نهاية الارب" فأخذ عمال بشر بن صفوان فحبسهم وأغرمهم وتحامل عليهم وعذب بعضهم وكان فيهم أبو الخطار بن ضرار الكلبي وكان قائدا جليلا. (النويري، د.ت، ص30) وكان من بين عمال بشر بن صفوان الذين بطشت بهم يد عبيدة بن عبد الرحمان وأساءت إليهم، أبو الخطار بن ضرار، وكان قائدا جليلا، وذو مكانة عالية في قومه، وذو ملكة شعرية. (الرقيق، د.ت، ص66) ضاقت نفسه

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

لهذه المعاملة التي تنم حقد القيسيين للكلبيين، فتكنفه من ذلك لجاج ونخوة، وثارت قريحته بهذه الابيات المنبعثة من نفسه المنكسرة فقال: (النويري، د.ت، ص30، 31)

أفأتم بني مروانَ قيساً دمَاءنا وفي الله إن لم يَعدلوا حَكَم عـدلُ

كأنكم لم تشهدو لِيَ وقعـةً ولم تعلموا مَن كان قَبْل له الفضلُ

وَقْيناكم حَرَّ القَنَا بصُدورنَا وليس لكم سِوانا ولا رَجُل رَجْلُ

فلما بلغتم نَيْل ما أَردتــم وطَاب لكم فِينا المِشارِبُ والأَكلُ

تغَافلتم عنّا كـأنْ لم نَكـنْ صدِيقاً وأنتم ما عَلِمتم لنا وَصْلُ

وعزم بعد ذلك على بثّ شكواه الى الخليفة، وبعث بها الى دمشق، وأوكل الكاتب الأبرش الكلبي، على قراءتها امام الخليفة هشام، فغضب غضبا شديدا، فصدع امام من حوله قائلا:" قبحّ الله ابن النصرانية هذا الذي لم يطع أوامري، (فيلالي،2008، ص34) فأمر هشام بعزل عبيدة عن افريقية والمغرب، (ابن عذاري، 2009، ص51) إلا ان رواية ابن عبد الحكم تقول "ان عبيدة خرج من بالهدايا من افريقية لزيارة الخليفة هشام وطلب اعفاءه. (ابن عبد الحكم، 1964، ص93)

ظلّ البربر على هذه الحال في ظل الولاة المتعاقبين، وازدادت حالتهم سوءا عندما قدم عبيد الله بن الحبحاب سنة116هـ/734، وكان قيسيا متعصبا وشديد التعصب للعرب ضد البربر، لا يكاد يقيم لغير العرب وزنا ".(مؤنس، 2005، ص145). يقول حسين مؤنس معلقا على سلوك ابن الحبحاب إزاء البربر" ولا يكاد يحفل لمشاعرهم....ولو كان عبيد الله ابن الحبحاب وعماله على شيء من بعد النظر لشعروا باضطراب النفوس".(مؤنس، 2005، ص145)

لم يقتصر تعسفه على جنس البربر فحسب بل شمل حتى اليمنية، وقد بالغ في استخفاف البربر، حيث اعتبرهم فيئا للمسلمين او عبيدا رغم حسن اسلامهم. (عبد العزيز سالم، 1988، ص154)، وتجسدت هذه الممارسات عندما قام ابن الحبحاب بتولية عمر بن عبد الله المرادي على طنجة، يقول ابن

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

عذاري "ثمّ إن عمر بن عبد الله المرادي، عامل طنجة وما ولاها، اساء السيرة وتعدى في الصدقات والعشر، وأراد تخميس البربر، وزعم أنهم فيء وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنّما كان الولاة يخمسون من لم يَجِبْ للإسلام، فكان فعله الذميم هذا سببا لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة المؤدية الى كثير القتل في العباد، نعوذ بالله من الظلم الذي هو وبال على اهله".(ابن عذاري، 2009، ص52)

لم يكن ابن عذاري وحده من استنكر او استشنع صنيع هذا الرجل، بل هناك العديد من المؤرخين الذين وقفوا مليا عند أفعاله اللاّمسؤولة بمرارة وحسرة، ونحن كدارسين نتساءل كيف لم يقدر هؤلاء مواطئ أرجلهم قيل الخطو، ولم ينظروا في قرارتهم التعسفية التي خدشت مشاعر البرير في مرّة، وكيف لم تكن لهم نظرة تأمل واعتبار الى النهاية التي آل إليها يزيد بن ابي مسلم، إلاّ ان هناك من المؤرخين من ينفي ان تكون معاملة الولاة السيئة، وراء إثارة البربر، ومن هؤلاء صاحب كتاب أخبار مجموعة اذ يقول:" ...وهو قول أهل البغض للأئمة، فإن كانوا صدقوا فما بال التحكيم فشا فيهم، ورفع المصاحف، وحلق الرؤوس اقتداء بالأزارقة، (البغدادي، 1990، ص84،85) وأهل النهروان، أصحاب الراسبي وزيد بن حصين". (مجهول، د.ت، ص111).

وقعة الاشراف 122هـ/740م:

ومما هو جدير بالاشارة، فإن الخلفاء كان لهم يد فيما يحدث في بلاد المغرب من فتن واضطرابات، ليس فقط للنعرة العصبية التي رفعوا لواءها، بل لما كانوا يطلبونه من طرائف والهدايا، ويبعثون في طلبها من ولاتهم بالمغرب الذين كانوا يرسلون إليهم بالجواري البربريات، ولما تولى ابن الحبحاب منّاهم بالكثير وتكلّف لهم أو كلفوه، فاضطر الى التعسف وأساء السيرة. (ابن عذاري، 2009، ص79)

ثمّ هناك عامل آخر لا يقل اهمية عن العوامل السابقة الذكر وهو انتشار أفكار الخوارج بين البربر، تلك الافكار التي تدعوا الى المساواة بين المسلمين، (عبد العزيز سالم، 1988، ص154)، وعدم حصر الخلافة في بيت معين، كالبيت العلوي مستغلين حالة التذمر العام، التي سادت بين الاهالي، (العبادي، د.ت، ص90) من جراء تجاوزات الادارة الاموية ن فانتشروا عبر كامل الاقاليم المغربية دعاة ومعلمين بين القبائل، وشرعوا في بسط تعاليم الدين الاسلامي، وفق ما يتماشى مع مبادئهم وافكارهم، مما شجع البربر

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

على الرغبة في تحقيق هذه التعاليم الاساسية كشرط للاستقرار والطاعة، فانخرط البربر في هذا التيار وتبنوا افكاره لأنها تتناسب مع وضعهم الاجتماعي والاقتصادين وتتواقف مع مزاجهم وطبائعهم فاتخذوها رمزا للمعارضة السياسية ضد الادارة الاموية في بلاد المغرب،(العبادي، د.ت، ص90) وانتهت مغالبة البربر في المطالبة بهذه الحقوق الى الصدام مع بني أمية.

ويضاف الى هذه الأسباب ما أورده بعض المؤرخين، ان السبب المباشر للثورة يتلخص في حادثة مفادها، أن وفدا رفيع المستوى من بربر المغرب بزعامة ميسرة المطغري المدعو بالفقير، وكان المروانيون يدعونه بالحقير، استهزاء وسخرية.

والحق أن ميسرة المطغري زعيم الصفرية، كان نسيجا وحده، قوي الشخصية، وعلى جانب كبير من النبوغ والدهاء السياسي، وذا وعي فائق، وحنكة دبلوماسية منقطعة النظير، أهلته للامساك بزمام المبادرة، وتزعم البربر في مواجهة السلطة الاموية ببلاد المغرب. وما الأوصاف التي وصم بها، وألصقت بشخصه ونعتته بالحقير... والنقير ..والسقاء...وما إلى ذلك، الاّ للاستنقاص من قدره، والحد من تأثيره على بقية اتباعه. (فيلالي،2008، ص51)

اتجه ميسرة الى دمشق لمقابلة الخليفة هشام بن عبد الملك لعرض تظلماتهم، وتقديم عرض حال لوضعيتهم الاجتماعية، وما يقوم به الولاة وعمالهم إزاءهم من اضطهاد وتمييز، إلاّ انهم لم يتمكنوا من مقابلة الخليفة، (كمال السيد ابو مصطفى، 2008 ص79) فقد حال دون ذلك كاتبه "الأبرش" ومع ذلك فقد تركوا له قبل مبارحة دار الخلافة شكواهم ليقدمها للخليفة، وسجلوا اسماءهم والقابهم حتى يلفتوا الخليفة الى جدية الامر ومما جاء في هذه العريضة ما يلي:« أبلغ أمير المؤمنين، بأن أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا اصاب نفلهم دوننا، وقال: هم أحق به. فقلنا: هو أخلص لجاهدنا. وإذا حاصرنا مدينة قال: تقدموا وأخر جنده، فقلنا: تقدموا فإنه ازدياد للجهاد، ومثلكم كفى اخوانه، فوقيناهم لأنفسنا، وكفيناهم ثمّ إنهم، الى مشيتنا، فجعلوا ينقرون على السخال، يطلبون الفراء الابيض، لأمير المؤمنين، لأمير هو المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جلده، فقلنا ما أيسر هذا لأمير المؤمنين، فاحتملنا ذلك، وخليناهم ذلك، ثمّ إنهم سامونا أن يأخذوا كلّ جميلة من من بناتنا، فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة، فنحن مسلمون فأحببنا

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أن نعلم، أعن رأي أمير المؤمنين، ذلك أم لا. » (الطبري، د.ت، ص254) - (ابن الاثير، د.ت، ص35) وعادوا الى المغرب بخواطر منكسرة يائسين من تحسين اوضاعهم على ايدي بني امية.

بحلول سنة 122هـ/740م أعلنت جموع البربر بقيادة ميسرة المطغري الثورة العامة (العبادي، د.ت، ص91) وتداعت له برابرة المغرب بأسره، (عبد العزيز سالم، 1988، ص154) وسار بهم الى معمعة الاقتتال في معركة حاسمة بأحواز طنجة، استبسل فيها البربر وثبتوا امام جيش الامويين، والحقوا به الهزيمة، واستطاعوا ان يبسطوا بعد ذلك نفوذهم على رقعة جغرافية واسعة، من المغرب الاقصى. (العبادي، د.ت، ص91)

وكان لهذا الانتصار موقعه في نفس ميسرة المطغري وقاده ذلك الى ادّعاء الخلافة، وتجاوز بذلك الحدّ الذي ارتضاه له البربر، وثاروا عليه وقتلوه، طبقا لمبادئ الخوارج القاضية بالتخلص من الامام اذا ما حاد الجماعة، وهناك فرضية أخرى ان القبائل المتحالفة مع ميسرة المطغري طمِح هي الأخرى إلى الامامة، ورأت أنها أحق بها، فبادرت الى السدة بقتل المطغري، ورجحت الكفة لصالح الزناتيين، وأمرّوا عليهم لكرسي الامامة أحد شيوخهم، (ابن عبد الحكم، 1964، ص95) خالد بن حُمَيْد الزناتي، الذي كان لا يقل اهمية من سابقيه، حيث كان يتمتع بشخصية قوية، وروحا قيادية عالية قاد بها جموع البربر الى ميادين القتال، أين تمكن من الانتصار على الجيش العربي، وقتل في الموقعة خيرة من رجال العرب من الاشراف، حتى سميت بوقعة الاشراف. (النويري، د.ت، ص224) يقول بن عذاري المراكشي والأسى يخامره: « ....ولم يبق من أصحابه رجل واحد فقتل في تلك الواقعة حماة العرب وفرسانها وكماتها وابطالها فسميت بغزوة الأشراف » (ابن عذاري، 2009، ص32) وهو يعني خالد بن أبي حبيب قائد الجيش العربي.

وقعة وادي سبو (بقدورة) 123 هـ/741:

لقد كان وقع الهزيمة مؤثرا، إذ شعر العرب أنهم أصيبوا، وأنهم ضربوا في مقتل، فعم الاضطراب في سائر أرجاء البلاد، وتحدثت بالهزيمة الركبان، وبلغ ذلك اهل الاندلس، واعلنوا الثورة على أميرهم، فعزلوه وولوا عبد الملك بن قَطَن، ولما بلغ ذلك هشام بن عبد الملك ذهل للخبر وقال:« ...أقتل

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أولئك الرجال الذين كانوا يقدمون علينا من العرب ؟ قيل نعم، فقال : والله لأغضبن لهم غضبة عربية ولأبعثن إليهم جيشا أوله عندهم وآخره عندي. » (النويري، د.ت، ص215)

بعد مدة ليست بالقصيرة، أرسل الخليفة هشام بن عبد الملك جيشا قوامه ثلاثون ألف فارس من أهل الشام، وحث الولاة في الامصار على معاضدة الجيش الزاحف نحو بلاد المغرب وتدعيمه بالجند.

وحول اعداد الخطة الحربية وتعيين القادة العسكريين، يقول الاستاذ عبد العزيز فيلالي:« ولعل مراكز القوى والتوازنات القبلية هي التي لعبت دورها في اختيار الوالي الجديد والقائد العام للقوات المسلحة المتواجدة لبلاد المغرب، ولم تكن الكفاءة القيادية وشجاعة الميدان أو الحنكة السياسية هي المعيار الحقيقي المستند اليه في هذا الاختيار، وربما لهذا السبب ضم الخليفة هشام بن عبد الملك إاى جانب كلثوم بن عياض نخبة من القادة المشهورين بخبرتهم العسكرية، وقدرتهم القتالية، وكون منهم هيئة لأركان جيشه في بلاد المغرب، وكان من بين هؤلاء: بلج بن بشر القشيري، وثعلبة بن سلامة العاملي، بالإضافة إلى هيئة استشارية أخرى تتكون من : مغيث الرومي وهارون القرني، كضباط اتصال في جيش الحملة.» (فيلالي،2008، ص57)

وبالرغم من الاستعدادات العسكرية، كانت بوادر الضعف بادية في هيكلته وأذرعه المكونة له، فقد افتقر الى النظام والألفة والإنسجام بين عناصره وكتائبه من القيسية واليمنية، والمتطوعين من الامويين، ومما زاد في ضعف هذا الجيش، هو اسناد قيادته الى شخصية مترهلة قليلة الهيبة. (محمود إسماعيل، 1985، ص67)

وعندما حلّ الجيش الشامي ببلاد المغرب، لم يلق ترحيبا من العرب الحجازيين الذين استقروا ببلاد المغرب منذ ايام الفتح الاسلامي، فبحلولهم تجددت في مخيلتهم ذكريات أليمة، وجروحا عميقة لم تندمل بعد، والسبب في ذلك يرجع الى أن عرب الحجاز كانوا ناقمين على بنى أمية، وأنصارهم عرب الشام، لأنهم استباحوا بلاد الحجاز ، وقتلوا منهم وشردوا خلقا كثيرا في "وقعة الحرّة سنة 36هـ" (الحميري، 1975، ص192، 193)شرق المدينة المنورة، وآثروا بعد ذلك مكرهين ترك بلادهم والهجرة إلى بلاد

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المغرب، طلبا للغزو والاستشهاد الى جانب الفاتحين، علّهم يجدون مستقرا ومقاما بعيدا عن أعين الامويين وحلفائهم من الشاميين، وعرفت هذه الجموع من الحجازيين الوافديين فيما بعد "بالبلديين" وظلوا على هذه الحال من الاستقرار بين سكان أهل المغرب إلى أن قدم عليهم الجيش الشامي بقيادة كلثوم بن عياض القشيري، فكان من الطبيعي ان يثير قدومهم جروحا غائرة في نفوسهم، ، وخشوا أن يشاركوهم في الأراضي والممتلكات، وامتنعوا عن الإنضمام إلى صفوفهم في مقاتلة البربر. (العبادي، د.ت، ص9) وأدى ذلك إلى نشوب خلاف حاد بين القائدين كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبيدة شيخ اليمنية، والسبب في هذا هو أن كلثوم عندما نزل بجيشه في أفريقية أمر أهل القيروان بأخلاء منازلهم للجند الشامي وناد بأعلى صوته: « يا أهل أفريقية لا تغلقوا أبوابكم حتى يعرف أهل الشام منازلهم » (ابن عذاري، 2009، ص54) فكتب سكان أفريقية إلى زعيمهم حبيب بن أبي عبيدة وهو يومئذ بتلمسان فكتب الى كلثوم يقول له: « إن ابن عمك السفيه قال كذا وكذا، فارحل بعسكرك عنهم، وإلاّ حولنا اعنة الخيل إليك.(ابن عذاري، 2009، ص54) وحتى لا يعمق كلثوم بن عياض هوة الخلاف، أرسل الى إبن حبيب برسالة يعتذر فيها عما بدر من بلج بن بشر. (ابن عذاري، 2009، ص54) كاد هذا الخلاف والتلاسن بين قادة الجيشين أن يجر الطرفين إلى الاقتتال، لولى تغليب الحكمة والتعقل، وسار الجيشان على اتفاق ظاهري لمنازلة جيش البربر بقيادة خالد بن حميد الزناتي عند نهر سبو في موضع يقال له بقدورة على ضفاف وادي طنجة، (النويري، د.ت، ص113) واقتتلوا قتالا شديدا، فقتل كلثوم بن عياض، وحبيب بن أبي عبيدة، وسلمان بن أبي المهاجر، ووجوه من العرب وأبطالها،(النويري، د.ت، ص216) وأتبعهم البربر يقتلون ويشردون ويأسرون، فثلث مقتول وثلث مهزوم، وثلث مأسور على حد قول صاحب أخبار مجموعة. (مجهول، د.ت، ص113)

يقول الدكتور سعد زغلول عن هذه الوقيعة:« وكان لقاء هائلا استبسل فيه الصفرية بشكل يذكر باستماته اخوانهم خوارج المشرق في حروبهم مع جيوش الخلافة، واتهى نهاية لم تكن متوقعة اذ تحطم جيش كلثوم، العظيم بفرسانه وعدده وعتاده، أمام مقاومة البربر العزل من السلاح أو الذين يكادون (زغلول، د.ت، ص302)

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وخلف كلثوم بن عياض ابن أخيه بلج بن بشر القشيري في ميدان المعركة، فاعتصم بالجيش المهزوم، داخل أسوار مدينة سبتة المنيعة، ودارت بينه وبين البربر، مناوشات، ومشدات عنيفة، استطاع فيها جيش بلج بن بشر من التشنج واحتواء ضرات البربر، الذين اكتفوا بإحكام الحصار داخل أسوار المدينة، حتى نفذت المؤن، وعمت المجاعة، فاضطروا إلى أكل دوابهم. (العبادي، د.ت، ص92)

انتقال الثورة إلى الاندلس.

فلما أحسّ بلج بالخطر، وأنه أحيط بجيشه أضطر إلى الاستنجاد بعبد الملك بن قطن والي الاندلس يومئذ يستأذنه في العبور الى الاندلس، إلاّ ان بن قطن أدار ظهره وسرّه هلاكهم، وخاف على سلطانه كونه من عرب الحجاز، ومن اهالي المدينة المنورة الذين شاركوا في وقعة الحرة واكتوى بنارها، ولهذا لم يسمح لهم بالعبور. (فيلالي،2008، ص60)

غير أن الظروف سارت لصالح بلج بن بشر وأصحابه، ذلك أن بربر شمال الاندلس وصلتهم أخبار البربر بالعدوة الجنوبية، وما حققوه من إنتصرات العرب، فاعلنوا الثورة إسوة بإخوانهم المغاربة، فأخرج إليهم ابن قطن جوشا هزموها، وقتلوا العرب في الآفاق، فهاله ان يزجّ بجيش العرب الى مصير مجهول يحاكي مصير عرب المغرب، فاضطر غير متردد إلى الاستعانة بالشاميين المحاصرين بسبتة، فعرض عليهم المرور والمشاركة في إخماد ثورة البربر، على شريطة ان يبارحوها بعد إنجاز المهمة، وحُددت المدة بسنة واحدة فرضي بلج وأصحابه بهذه الشروط، (مجهول، د.ت، ص115) إذ وجدوا في الانتقال الى الاندلس فرصة مواتية لتقوية أنفسهم، وعندئذ يمكنهم املاء رغباتهم، بعد ترجيح كفة النصر لصالح ابن قطن، وإخماد ثورات البربر، (عبد العزيز سالم، 1981، ص316) ثمّ اذن ابن قطن لبشر بالعبور بعد ان أخذ عليه العهد، وأرسل إليه السفن وعليها الاطعمة والأدم، ودخلوا بعد ذلك الاندلس حفاة عراة لا تواريهم سوى دروعهم، وقد بلغ بهم الجهد مبلغا بئيسا (عبد العزيز سالم، 1981، ص316) " وكانوا نحو عشرة آلاف من عرب الشام، فلما دخلوا كساهم عرب الاندلس على قدر أقدارهم، فربّ رجل يكسو مائة رجل، وآخر عشرة، وآخر واحداً، إلى ما بين ذلك. (مجهول، د.ت، ص116)

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

كانت أولى مهمات جيش البربر مطاردة العناصر العربية في شمال غرب الأندلس في جليقية وأستورقة والثغر الأعلى، باستثناء سرقسطة التي يكثر فيها العنصر العربي وذلك لحماية ظهورهم أثناء التوجه صوب الجنوب وكانت خطتهم على النحو التالي:

تمّ تقسيم الجيش الى ثلاث مجموعات كل مجموعة تضم حشد غفير من الجند المقاتلين.

-قسم بقيادة ابن هودين يتوجه إلى مدينة طليطلة عاصمة الثغر الادنى.

- قسم بقيادة زقطرنق يتوجه إلى قرطبة.

- قسم بقيادة رجل زناتي لم نذكر المصادر اسمه يتوجه نحو الجزيرة الخضراء للاستلاء على الموانئ والمراسي والسفن، ثمّ الهجوم على الشاميين في مدينة سبتة، ومن ثمّ الاتصال بإخوانهم البربر في العدوة الجنوبية، ونقل أعداد منهم الى بلاد الاندلس لتقوية عضدهم فيها ومؤازرتهم في إقامة دولة بربرية في قرطبة. (طقوش، 1988، ص85) (فيلالي،2008، ص131)

بوصول بلج بن بشر الأندلس وصلته انباء خطة البربر، فرأى أن يبدأ بمواجهة الجيش الثالث كي يحول دون اتصاله ببربر المغرب، وفي موقعة شذونة: « لم يكن للعرب فيهم إلا نهضة أبادوهم وأصابوا أمتعتهم ودوابهم فاكتسى أصحاب بلج وانتعشوا وأصابوا المغانم ». (ابن عذاري، 2009، ص31) وهناك من المؤرخين من يوعز استبسال القيسيين من جند الشام في مواجهة البربر في أراضي الاندلس، ومن هؤلاء حسين مؤنس قوله:« ... ولا نزاع في أن العرب كانوا مدفوعين في هذه المعركة بالرغبة في طلب الثأر من هؤلاء البربر الذين أذاقوهم الويل في افريقية والاندلس طوال الحقبة الماضية. ثمّ نهض بلج وعبد الملك ابن قطن ومن معهما للقاء الجيش البربري الذي كان متجها نحو قرطبة، ولم يجدوا عناء كبيرا في هزيمته والقضاء عليه. » (مؤنس، 2005، ص175)

ثم سارع من فوره نحو قرطبة وانتصر على الجيش الثاني، ثمّ انضم الى الجيوش العربية، لمواجهة جيش البربر في طليطلة وهو أقوى الجيوش العربية، وفي هذا المكان على مقربة من وادي سليط تراء الجمعان، وهمّ كلّ جيش بالآخر، فحلق البربر رؤوسهم اقتداء بميسرة المطغري، حتى لا يختلطوا بجموع العرب ولا يخفى

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أمرهم، ثمّ انحطّ الشاميون بقيادة بلج بن بشر على البربر كالبواشق حانقين، فمزقوا صفوفهم، وأذرعوا فيهم القتل، وأبادوهم، وأطفئوا بذلك جمرة نقمتهم بحيث لم ينج من البربر إلاّ من فرّ بحياته، وقضوا بذلك على ثورة البربر.(العبادي، د.ت، ص94).

خرج عبد الملك بن قطن وجموع اليمنية منتصرين محبرين من المعركة العنيفة ضد البربر، ولكن لم يطمئن امره ما دام بلج وأصحابه إلى جانبه، وهو يعلم منهم كبرياءهم، وانهم لا ينقادون الا لبني جلتهم من القيسية، ولم تكد جروح المقاومين من الشاميين ان تندمل حتى قام عبد الملك بن قطن يطالبهم بالعودة الى ديارهم بعد انجاز مهمتهم، فاستغرب هؤلاء مطلب ابن قطن، وبدا أنهم استعملوا في المواجهات كمرتزقة، وليس كجند من اجناد المسلمين يقاتلون من اجل قضية مقدسة، ثم أن البلد الذي حلوا فيه ، ما كانوا ليتركوه، فقد تغيرت أحوالهم، وأقبلت عليهم النعمة فيه، إلا إذا أخرجتهم قوة قاهرة. (مؤنس، 2005، ص175)

دارت بين الفريقين مفاوضات طويلة، لم يتنازل ابن قطن عن رأيه في ارسالهم عبر الجزيرة الخضراء والعودة إلى نواحي سبتة، أين ابتلي بلج وأصحابه بأشد العذاب، فلما انسدت أمامهم كل المحاولات لثني ابن قطن عن رأيه، لم يعودوا يرون حرجا في التخلص منه، فثاروا عليه وأخرجوه من القصر، وأقاموا على إمارة الاندلس زعيمهم بلج بن بشر، أما بن قطن فقد حبس في منزله.

نتج عن تغلب الشاميين واستحواذهم على الامارة، استحكام الفوضى في كامل ربوع الاندلس، وفي هذه الاثناء أمسك والي الجزيرة الخضراء عن امداد الرهائن الذين امسكهم ابن قطن عند عبور بلج وأصحابه كرهائن في العهد الذي تمّ بينهما، بالطعام والشراب، فمات من جراء ذلك رجل غساني، وطالبوا بلجا ليسلمهم ابن قطن ليقتلوه مقابل موت الغساني، حاول بلج ثنيهم عن ذلك، فاتهموه بوقوفه الى جانب المضرية، فخاف من تفرق الصفوف، فأمر بإخراجه من داره، ولم يشفع له سنه فقد كان شيخ طاعن في السن تجاوز التسعين، (مجهول، د.ت، ص117) فقتلوه عند رأس القنطرة وصلبوه، أثار مقتل ابن قطن موجة من الغضب، فتجمعت فلول البلديين عازمين على الانتقام من الشاميين، والتقى الجمعان، موضع يقال له أقوة برطورة، وانتهت المعركة بهزيمة البلديين من العرب من البلديين، وقتل بلج في الموقعة،

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وخلفه ثعلبة بن سلامة العاملي، ولما تناهت الأنباء إلى الخليفة هشام بن عبد الملك، وما أصاب الكلبيين على أيدي القيسيين، أمر حنظلة بن صفون بأن يولي أبا الخطار الاندلس ليقطع بذلك دابر الفتنة في الأندلس، وينهي الخلاف بين الفئات المتناحرة من العرب القيسية واليمنية والبربر.

قائمة المصدر والمراجع:

-ابن حزم أبو محمد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد المنعم خليل ابراهيم، ط4 دار العلم للملايين،1428هـ/ 2007.

-ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق ابي الفدى عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987.

- ابن عبد الحكم عبد الرحمان، فتوح أفريقية والاندلس، تحقيق عبد الله الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964.

-الرقيق القيرواني، تاريخ أفرقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم عزب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة.

- ابن أبي دينار، المؤنس في اخبار أفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، ط3المكتبة العتيقة، تونس،1387.

-الحميري عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، دار صادر، 1975، ص 192-193.

-ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، ط1، 2009، دار الكتب العلمية، بيروت.

- النويري شهاب الدين، نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق عبد المجيد ترجيني، دار الكتب العلمية، ج24 ص30.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

- البغدادي عبد القاهر، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميدن المكتبة العصرية 1990.

- مجهول ،اخبار مجموعة، تحقيق اسماعيل العربي، شركة النشر والتوزيع، الجزائر.

-الطبري أبو جعفر تاريخ الرسل والملوك تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ج4ص254. ابن الاثير ج4ص35.

المراجع:

- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية.

- السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة

-السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981العربية، بيروت 1408هـ/1981.

- سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط1، دار النفائس، بيروت 1988.

-عمر فروخ، تاريخ صدر السلام والدولة الاموية، دار العلم للملايين، ط1 ،1970.

- حسين مؤنس، فجر الاندلس، دار الرشاد، ط3، القاهرة 1426هـ/2005

- عبد العزيز فيلالي، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والاندلس، دار هومه، الجزائر،2008.

- محمود اسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء 1406هـ/ 1985.

- كمال السيد ابو مصطفى، محاضرات في تاريخ الغرب الاسلامي وحضارته (المغرب والأندلس) مركز الاسكندرية للكتاب، 2008.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 01 بتاريخ 2020/06/10م

ISSN: 2708-4663 **DNNLD :2020-3/1128**

الرؤية اللونية والخلق الشعري
قراءة في المفاهيم والدلالات

الدكتور محمد بوعلاوي

المركز الجامعي – أفلو– الجزائر

الملخص:

يعتبر اللون من أهم عناصر الجمال في تاريخ الحضارة الإنسانية حيث برز في كل مظاهر الحياة وتنوعاتها، بل تعد الألوان الوسيلة الأولى للتمييز بين الأشياء، وهي حبلى بالإيحاءات والدلالات، ورمزية اللون تكمن في كونه حاملا للفكرة الدرامية. لهذا سنحاول في هذا المقام تسليط الضوء على الرؤية والخلق الشعري قراءة في المفاهيم والدلالات.

الكلمات المفتاحية: الرؤية– اللون– الشعر

Color vision and poetic creation
Read on concepts and semantics

Abstract:

Color is one of the most important elements of beauty in the history of human civilization, as it has emerged in all aspects of life and its variations. Rather, colors are the first means to distinguish between things, which are pregnant with indications and connotations, and the symbolism of color lies in its being a carrier of the idea of drama. For this reason, we will try in this regard to highlight the vision and poetic creation, reading in concepts and semantics.

Key words: vision - color - hair

بين الألوان والشعر أواصر أفاد منها الشعراء وانعكست على إبداعاتهم، فكان اللون بالنسبة إليهم شعرا صامتا أجادت الطبيعة تصويره ونظمه، «فالفنون كلها أنواع من المحاكاة في مجموعها»1 (أرسطو طاليس، 1973، ص4)، ومن أجل ذلك فإن العلاقة بين الرسم والشعر تبدو وثيقة الصلة حتى قيل: «أن الرسم شعر صامت. وأن الشعر رسم ناطق»2 (فرانكلين روجرز، 1990، ص5)، فالشاعر

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

والرسام يتفقان في المقاصد ويختلفان في الأدوات، والشاعر غداة توظيفه للألوان يقترب من الرسام لأن كليهما يقدم عملا حسيا، «إن المحاكاة بالمسموعات تجري من السمع مجرى الملونات من البصر»3 (حازم القرطاجني، 2008، ص90)، فالألوان بسحرها تجذب إليها الصغير والكبير والرسام والمبدع والشاعر والإنسان العادي.

إن الشعر خاصة والأدب عامة عملية إبداعية خلاقة تثري البناء الفني الجمالي في الحياة العامة، لأن الفن «هو التعبير الجميل عن حركة الذات الإنسانية المجربة، في موقفها الخاص من الطبيعة والمجتمع بوسائل: اللون، واللفظ، والحركة، والشكل، والنغم»4 (ميشال عاصي، 1963، ص35)، وتأثير الألوان فعال في المشاعر والأحاسيس والانفعالات فمن «خلال لغة الألوان التي ترسمها دورة الحياة اليومية: شروق الشمس، ووقت الظهيرة، وغياب الشمس، ومنتصف الليل، تبدو المحسوسات من خلال إيقاعية الألوان ظاهرة جلية في إيحاءاتها»5 (حافظ المغربي، 2004، ص325) ، أما اللغات فتستخدم الألوان استخدامات مجازية.

اللون لغة:

عرف ابن منظور اللون بـ: «هيئة كالسواد والحمرة ولونته فتلون، ولون كل شيء، ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان، والألوان الضروب واللون، النوع، وفلان متلون أي لا يثبت على خلق واحد...»6 (ابن منظور، 1955، ص394)، ويرى العلماء المحدثون أن اللون: «ذلك التأثير الفيسيولوجي الناتج على شبكية العين، سواء أكان هذا اللون مادة صباغية، أم ضوءا ملونا»7 (علي إبراهيم محمد، 2000، ص19)، والمعاجم العربية لم تختلف في المعنى اللغوي للون، فكلها دلت على المعنى نفسه، أما الصلة بين اللون وعلم الدلالة فجلية لأن «لألفاظ اللون أهمية في علم الدلالة، فهي إحدى المجالات القليلة التي يمكن فيها مقارنة نظام لغوي بنظام يمكن تحديده وتحليله بأسلوب موضوعي»8 (أف آر بالمر، 1985، ص86)، واللون يرتبط بالدرجة الأولى بحاسة البصر حيث يتم إدراكه عن طريق العين، وكل الأمم عرفت الألوان ووظفتها في شؤون حياتها المختلفة.

اللون اصطلاحا:

أما مفهوم اللون في الموسوعات الحديثة ففيه تفصيل في ضوء تطور العلم فهو خاصة ضوئية تعتمد على طول الموجة، ويتوقف اللون الظاهري لجسم ما على طول موجة الضوء الذي يعكسه، وتعددت الألوان في

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الطبيعة واختلفت وتقاربت فلذا كانت مسمياتها كثيرة في اللغة، فنجد عشرات الأسماء للتعبير عن اللون الواحد، وهي تختلف باختلاف درجات اللون، وهو ما يعرف قديما باسم إشباع اللون، ويعود هذا الاختلاف في الأسماء والمسميات للون الواحد لاختلاف الحقل الدلالي الذي يرد فيه، فالأبيض في الإنسان يختلف عنه في الحيوان وهكذا.

البعد الفلسفي للون:

تناول الكثير من الفلاسفة اللون من خلال دراستهم، فابن سينا رأى النور «يقع على الأجسام فيظهر بياض وسواد وخضرة والآخر الذي يتخيل على الأجسام كأنه يترقرق وكأنه يستر لونها وكأنه شيء يفيض منها»9 (ابن سينا، 1988، ص92)، فالجسم إذا استفاد من جسم آخر سمي بريقا كالمرآة وغيرها، وإن صدر الضوء من الجسم ذاته سمي شعاعا. ويمتلك الإنسان كثيرا من القوى، «من بينها القوى التي يحس بها الألوان والمبصرات كلها مثل الشعاعات»10 (الفارابي، 1968، ص44)، والألوان عند الفارابي تدرك بالضوء «إذ الضوء يعمل على تحويل الألوان من مبصرة بالقوة إلى مبصرة بالفعل»11 (الفارابي، 1968، ص45)، لأن الفنان يربط الألوان بعواطفه وأحاسيسه ويترجمها في صورة صادقة عن نفسه، فالألوان التي تصدر عن نفس الفنان تكون أكثر تعبيرا وأكثر تصديقا.

وفي غالب الأحيان لا يلتزم الفنان بواقعية الألوان، وإنما يتركها تعبر عن مشاعره وأحاسيسه بالطريقة التي يراها مناسبة، عملا بنظرية الفن للفن، لا مبدأ المحاكاة الذي عند أفلاطون، وبذلك تكون الألوان نابعة من أحاسيسه، «فمن الميسور صوغ المشاعر لا بواسطة الكلمات وحدها، وإنما كخطوط، وألوان، ونغم، وعندما تصاغ المشاعر توصف بأنها تعبير»12 (عبد الرحمن بدوي، 1996، ص27)، ويتضح –مما سبق–أن اللون يساعد الإنسان في التعبير عن ذاته وإخراج أحاسيسه الباطنة.

كما اهتم الفلاسفة بقوى الألوان فالإحساس انفعال، «واستحالة إلى مشاكلة المحسوس بالفعل، فيكون الحاس بالفعل هو ما صور به الحاس من صورة المحسوس»13 (محمد عثمان نجاتي، 1980، ص47)، فتجمع هذه القوى بين المضادات المختلفة للحواس الظاهرة، ويكون لكل حاسة اختصاصها مثل حاسة اللمس تجمع بين الحرارة والبرودة، الرطوبة واليبوسة، والصلابة، وحاسة الذوق تجمع بين الحلو والمر، وحاسة البصر بين الألوان مثل الأبيض والأسود.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

إن النفس العاقلة عند أفلاطون أو "العقل" هي التي تقوم بإدراك المحسوسات المختلفة وليس الحس كما يرى ابن سينا، إضافة إلى أن العقل يقوم بوظائف التخييل والتذكير والتذكر، «إننا إذا أدركنا شيئا ما بقوة ما، فإنه يستحيل أن ندرك هذا الشيء نفسه بقوة أخرى، فلسنا نستطيع إدراك الأصوات بالبصر، ولا إدراك الألوان بالسمع، فإن الصوت واللون شيئان مختلفان... وأعضاء الحس لا يمكنها إدراك الخصائص المشتركة بين موضوعات الحس، والذي يدرك ذلك هو النفس العاقلة لا الحس»14 (محمد عثمان نجاتي، 1980، ص131). ولا يمكن أن نتكلم عن الجمال بعيدا عن الألوان، لأن كل منهما يكمل الآخر وقد ربط **بيرك** الجمال بالألوان في قوله: «الشيء الرائع قاتم اللون ومخيف، والجميل هادئ زاهي الألوان يجلب الحب ويبعث السرور»15 (محمد علي أبو ريان، 1974، ص34)، فالألوان تعطي أحاسيس متناقضة حيث الخوف تارة والفرح تارة أخرى، وبذلك هي البوابة الرئيسية للجمال وللتذوق الجمالي.

ويقتضي جمال الألوان أن تكون متناسقة ومتناسبة، حتى تعطي انطباعا مقبولا لدى الأفراد، ويعتبر التناسب مهما لأنه ركن من أركان الجمال، والله سبحانه وتعالى خلق التناسب والتناسق في كل شيء حتى في الحيوانات والبشر، والتنوع من الأبعاد الجمالية والفنية التي لابد من توفرها في فلسفة الألوان، أما الوضوح فمطلوب في العمل الفني إلا أن هناك من يرى أن الأمور كلما زادت تعقيدا زادت جمالا.

اللون والشعر:

اللون يساعد على تشكيل الصور الشعرية، فألوان الأشياء وأشكالها «هي المظاهر الحسية التي تحدث توترا في الأعصاب وحركة في المشاعر، لأنها مثيرات حسية يتفاوت تأثيرها في الناس [...] تدفع إليه الحاجة لتشكيل الدلالة الشعرية أولا وثانيا بإثارة القارئ، فالشعر ينبت ويترعرع في أحضان الأشكال والألوان»16 (عزالدين إسماعيل، 1994، ص111)، ويتميز اللون بخصائص فنية وجمالية عدة، لذلك يعتبره الشاعر لغته «فقد يلون الأشياء كالأشجار بالسواد أو غيره من الألوان، وهذا ما يعني اللغة لدى الشاعر، إذ يقدم اللون إيحاء ومعنى آخر غير الذي عرف عنه»17 (ظاهر محمد هزاع الزواهرة، 2008، ص236)، فيثير الشعور ويذكي الأحاسيس بهذه الأشكال والألوان، وبذلك يغدو اللون أداة فعالة في التجربة الشعرية، ولدارسة واستجلاء هذه الروابط، فإن النقاد يستحضرون أنساقا معرفية عدة، مثل علم الاجتماع، والبلاغة، وعلم النفس، والجمال، والأنثروبولوجيا...

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الرؤية:

فمفهوم حديث لايزال الغموض ينتابه، «الرؤية تعني المشاهدة بالبصر، وقد يراد بها العلم مجازا، وإذا أطلقت الرؤية على المشاهدة بالنفس سميت حدسا، وقد تطلق على مشاهدة الحقائق الإلهية، أو المشاهدة بالوحي والإدراك بالوهم أو المشاهدة بالخيال»18 (جميل صليبيا، 1982، ص605)، وإذا كانت الحواس هي التي تقرّب الرؤية فإن ذات الشاعر تشكلها وتكونها بتوظيف الوسائل الفنية والرموز والأساطير والإيقاع، لأن القصيدة «تسعى إلى بناء عالم بديل، يتجه مباشرة إلى الرؤيا، دون الاتكاء على عناصر الرؤية المذكورة، وفي هذه الحالة يمكن أن تسمى القصيدة التي تبنى على هذا النوع قصيدة رؤيا»19 (عساف عبد الله، 1996، ص165)، ودراسة الرؤية ضمن سياق شعري محدد تكشف عن الملامح العامة التي تربط أبعاد تلك الظاهرة، كما تسهم في معرفة ملامح مرحلة شعرية، ومصطلح الرؤية «يقرب المعنى من الإدراك الواقعي»20 (بدر عبد المحسن، 1978، ص17)، والرؤية ترنو للمستقبل من خلال الواقع، وكل رؤية لا تتجاوز الواقع تظل تحت سيطرة الحواس، والشاعر «من يشعر بجوهر الأشياء، لا من يعددها ويحصي أشكالها وألوانها»21 (محمد فتوح أحمد، 1984، ص154).

فالرؤية اللونية إذا من التقنيات التي تعمل على تغيير نظرة الشاعر وإعطائها أبعادا جمالية وعمقا دلاليا إيحائيا.

اللون والشعر:

تظلّ الألوان عنصرا هاما بالنسبة للشاعر فهي تساعده على تشكيل صوره الشعرية «فألوان الأشياء وأشكالها هي المظاهر الحسية التي تحدث توترا في الأعصاب وحركة في المشاعر، لأنها مثيرات حسية يتفاوت تأثيرها في الناس، وكما هو معروف أن الشاعر –كالطفل– يحب الألوان والأشكال ويحب اللعب بها، غير أن اللعب لا لمجرد اللعب، وإنما هو لعب تدفع إليه الحاجة إلى تشكيل الدلالة الشعرية»22 (عز الدن إسماعيل، 1994، ص111) بإثارة القارئ، فالشعر ينبت ويترعرع في أحضان الأشكال والألوان.

اللون في البيئة الشعرية القديمة:

شكل اللون مرتكزا في القصيدة العربية القديمة، ولعب دورا مهما في فضاء الصورة والاستعارة والكناية، وبات «النص الشعري قادرا على تسخير مفرداته في خلق فضاء شعري يحمل صورا وألوانا موحية، ويكون

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

اللون عماد الصورة وأداة فنية تقوم بها القصيدة»23 (عز الدين إسماعيل، 1994، ص18)، وهو ما يشكل لغة تصويرية جديدة تحتضن الإيحاء.

لقد استعمل الشاعر الجاهلي الألوان للتعبير عن دلالات نفسية واجتماعية عديدة، اختلفت باختلاف الأشياء وصفاتها، وألفاظ الألوان في اللغة العربية كثيرة بحيث نجد عشرات الأسماء للتعبير عن اللون الواحد، وكان الشاعر الجاهلي يترصد الظواهر الكونية ويتابع مجرياتها، مستشعرا دور اللون في تمايز الأشياء عن بعضها البعض، واستخدمه في تشبيهاته واستعاراته البلاغية، وقد اعتبر اللون الأبيض آنذاك ميزان لجمال المرأة ورمز لعفتها وطهارتها، وهو كثير الحضور في الشعر العربي، واقترن بجمال المرأة وجلال الرجل ورهافة السيوف، وكل معاني الشرف والرفعة والخير، والعلاقة بين الشاعر والمرأة أعمق من مدرك بصري، بل هي رسالة تنم عن حب وهيام استلهمها خيال الشاعر وعرضها على شكل ألفاظ وجمل وتراكيب موشاة بألوان، وبذلك تحولت الألوان من عالم اللغة بألفاظه وتراكيبه إلى عالم النفس بإيحاءاته ودلالاته، كما استلهم الشاعر الصورة بإدراكه الحسي، وأداته في هذا المضمار هي اللغة بكل مستوياتها، مع خيال مبدع خلاق.

وتأتي أهمية اللون من خلال تأثيره في الطبيعة النفسية والاجتماعية، «فيعبر لون ما عن حالة معينة، ويعبر اللون الآخر عن حالة أخرى، وقد يختلف الفنانون في انطباع أحدهم عن الآخر في لون معين، فيرى أحدهم في اللون الأحمر الغضب والثورة، ويرى الآخر الفرح واللذة»24 (سمير علي سمير الدليمي، 1990، ص67-68)، إذ الألوان جزء هام في نسيج العمل الفني وخاصة الصورة، والشعر رسوم متحركة تضبطها العبارة الشعرية.

وتحمل الألوان في القصيدة الشعرية بعدا فكريا هاما، وهي إحدى الدوال اللغوية المنتجة للمعنى والشعرية، فبها يشكل الشاعر رؤياه الفكرية ويتجاوز المألوف وفقا لتجربته وميوله النفسية، ويثري عملية التلقي بأدوات خطاب جديدة، «والتعمق في الآثار الأدبية يثبت أن استخدام الألوان فيها ليس من الصدفة، كما لم تستعمل فيها لمجرد التزيين»25 (جابر عصفور، 1983، ص281)، بل توجد صلة وطيدة بين اللون ومستويات النص البنيوية، والبلاغية والتعبيرية.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

اللون في البيئة الشعرية الحديثة:

شهدت القصيدة العربية الحديثة احتفاء بجمالية اللون عبر كل المستويات، وانتقل توظيف اللون من الرؤية السطحية إلى الرؤية المركبة، في تشكيل درامي في الحدث، والحوار، والإيقاع، لأن التفكير الدرامي يرد مجسما لا تجريديا، وقد تمرد الشاعر الحديث على المعجم التراثي ودلالاته، موظفا الألوان بطريقة مختلفة، عما كان عليه في النص الشعري القديم، فقد تأثث النص الشعري بالألوان، إذ تشهد القصيدة الحديثة «احتفاء بجماليات اللون في كل اتجاه، وعبر كل المستويات...ولم يقف عند حدود هذه الدلالات البسيطة، بل تجاوزها إلى لغة الإشارة اللونية، وقد قصد فيها اللون ووظف على نحو جعل ازدحاما وكثرة في القصيدة الواحدة، وإلى التوسع في توظيف اللون وقلبه إلى ألوان أخرى، وتعددت السياقات التي وجد فيها، وهذا كشف لنا على وجوده في القصيدة الحديثة محملا بدلالات متعددة، فكرية وسياسية ودينية»26 (محمد حافظ ذياب، 1985، ص47)، وهو بهذا شكل تقنية ووسيلة لم يعد للشاعر بد من توظيفها والاتكاء عليها.

ومن التقنيات المستحدثة في توظيف اللون نجد بعض الشعراء يوظفون اللون ليدل على نقيضه من الألوان وهو ما يسمى قلب اللون إذ «يتحول اللون إلى نقيضه، وتكون الغلبة للون الأخير مثلما يتحول اللون الأسود إلى أبيض والأبيض إلى الأسود، وقد يتحول اللون إلى لون غير مضاد له»27 (ظاهر محمد هزاع الزواهرة، 2008، ص171)، وقد يكون الهدف من هذا هو الجمع بين اللونين أو تقليص الفوارق بين الشيئين، فيعيش القارئ في تحليل نفسي لهذا التبديل وما يقدمه من تغير في اللحظة ذاتها، كما استطاع الشعراء المحدثون أن يحولوا الألوان إلى نبض يشيع الحيوية داخل التشكيل الصوري في القصيدة، ومن هنا تضادت الألوان مع نفسها أحيانا، واتخذت تشكيلات لونية متشابكة أثرت المعاني وعمقتها.

المطلع اللوني:

الاستهلال أو المطلع الشعري أو المطلع اللوني، أحد مكونات القصيدة، ويشكل بنية أساسية فيه، فيكون لهذا المطلع خصوصية في النص، إذ يختزل الدفقات الشعورية الناتجة عن تجربة الشاعر، «ومن المطلع يبدأ العمل الشعري بالانطلاق نحو تكوين القصيدة وإذا كان العنوان يشد الانتباه، فإن المطلع اللوني الشعري

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المتقن هو الذي يشد إلى الإبحار في أعماق النص، أما المطلع الذي سأعتني بدراسته فهو المطلع اللوني: أي القائم على اللون»28 (ظاهر محمد هزاع الزواهرة، 2008، ص161) .

إن المطلع يتفق مع عنوان النص في أحيان كثيرة، وكأنه صور لهذا العنوان ففي "خريف الانكسار" من ديوان "شقوق التراب" جاء المطلع قائما على اللون متفقا مع دلالة العنوان، وكأنه جاء ليؤكد ذلك العنوان أو يحمل الخريف معنى الموت والانتهاء، وهو ما أكسبه من إضافة الانكسار إليه، ففوق الخريف والذبول يكون الانكسار، ولذا جاء معنى المطلع اللوني مؤكدا لمعنى الهزيمة والاستسلام.

ومن خلال هذا زاد اهتمام الشعراء باتخاذ الألوان «كعناوين لقصائدهم وحتى لدواوينهم وإبراهيم نصر الله نجده يتخذ من اللون أساسا لعنونة قصائده ويكاد يحقق اللون وظيفة فوق الجمالية، ويعبر عن فنية عالية في اختيار اللون أو العنوان، ليشكل اللون بنية تقوم عليها القصيدة، حيث يتغلغل أثر اللون في جل أسطر النص الشعري ولا يقف عند العنوان والخاتمة»29 (ظاهر محمد هزاع الزواهرة، 2008، ص164)

إن شاعرية العنوان جزء من إستراتيجية النص الحديث، والعلاقة التي تربط بين العنوان والنص قد تكون علاقة انفصال أو اتصال، إذ يعتبر العنوان سمة العمل الفني لأنه اختزال للنص.

وإذا كان المطلع في القصيدة قد سد مسد العنوان، لذا حظي باهتمام الدارسين، فإن عنوان القصيدة الحديثة لم يولد عفوا، ولا يدرس بعيدا عن النص، «بل يدرس بوصفه جزءا من العمل الفني، فهو يجلب الانتباه ويدل على ما يحتويه النص، وترابط عناصره، ويمهد الدخول إلى النص، وكل هذا منحه الأهمية ويجعله في مرتكز الدراسة النقدية الحديثة»30 (ظاهر محمد هزاع الزواهرة، 2008، ص152).

لذا جاءت الكثير من القصائد في شعرنا تحمل عناوين ترتكز على اللون، بل اللافت للنظر هو أن هناك اهتماما واضحا في توظيف الألوان، وفي اختيار عنوان القصيدة، وتوسع الأمر ليحمل اللون عنوان بعض الدواوين الشعرية بأكملها، على نحو ما نجد عند علي العامري في ديوانه "كسوف أبيض". واستخدام الشاعر للألوان المكنونة للعلم إنما هو تأكيد على أهمية هذا العلم، الذي يجتمع تحته أبناء فلسطين في كل الأماكن عن الأرض، وهي تمثل لوحة فنية مرسومة في الوجدان لصورة الشهيد المناضل وهو يمارس دور الرسام إذ يلون تراب الأرض بدمه ليمنحها قيمة أخرى تعني التضحية والفداء.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الألوان والأبعاد الجمالية والفنية:

تحدث علماء الجمال عن المبادئ التي ينبغي توفرها في العمل الفني حتى تحقق فيه صنعات الجمال نذكر منها:

أ-التناسق والتناسب: ويقتضي جمال الألوان أن تكون متناسقة ومتناسبة، حتى تعطي انطباعا مقبولا لدى الأفراد، ويقصد بالتناسب «مراعاة النسبة بين أجزاء العمل الفني، واجتلاء التناسب في الموجودات في الطبيعة»31 (عبد الرحمن بدوي، 1996، ص28).

ويعتبر التناسب مهما لأنه ركن من أركان الجمال، والله سبحانه وتعالى خلق التناسب والتناسق في كل شيء حتى في الحيوانات والبشر.

ب- التنوع: يعد التنوع من الأبعاد الجمالية والفنية التي لابد من توفرها في فلسفة الألوان وغيرها كالموسيقى والشعر، لأن ذلك يدخل البهجة والسرور «وقد يكون أبسط أنواع التنوع هو تكرار الموضوع، فقد يحدث في الموسيقى أن يتكرر اللحن الغالب على مستويات مختلفة، وفي الشعر تتكرر القافية، لكن يمكن إحداث التنوع بتغيير الموضوع بواسطة تحويره بالتصغير أو بالتكبير، فمثلا ينتقل اللحن من مفتاح موسيقي إلى مفتاح آخر أو سرعة أخرى أو يعاد الشكل بألوان مختلفة»32 (أميرة حلمي مطر، 1989، ص42)

ج- الوضوح والتعقيد: الوضوح مطلوب في عمل فني إلا أن هناك من رفض الوضوح واعتبره ليس من الجمال، وأن الأمور كلما زادت تعقيدا زادت جمالا، حيث قيل: البوح بكل الأشياء يقرئ هذه الأشياء من مثاليتها وجمالها الأرفع.

د- التشبع: بالرجوع للقدماء نجد أنهم قاموا بإشباع الألوان عند الخيل، فنجد أبو عبيدة تكلم عن إشباع الألوان وتأكيدها خاصة عند تعرضه للدهمة من الخيل، فيقول: «أدهم غيهب وأدجهم دجوجي وأدهم أكهب، فأما الغيهب فأشدهن سودا، والدجوجي دونه في السواد وهو صافي اللون والأكهب الذي لم يشتد سواده ولم يصف لونه»33 (أبو عبيدة بن المثنى، 1940، ص103)

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وإذا كانت الحياة تقتضي التجدد والتبدل، فإن اللون علامة من علامات عدم استقرارها وثباتها على حالة واحدة، فدوام الحال من المحال، كما أن توظيف اللون يرمز للقوة والسيطرة لما يتميز به من خصائص لذلك فالشاعر يعتبر أن الألوان هي لغته «وبذلك يبقى الشاعر قادرا على إعادة رسم الأشياء وتكون الملامح المرسومة باللون الذي يشاء، فقد يلون الأشياء كالأشجار بالسواد أو غيره من الألوان، وهذا ما يعني اللغة لدى الشاعر، إذ يقدم اللون إيحاء ومعنى آخر غير الذي عرف عنه، فإذا غلب البياض على الصفاء، فإن البياض وفق سياق ما يصبح رمزا للاستسلام أو المرض والسود ... وهكذا يكون اللون لغة الشاعر»34 (ظاهر محمد هزاع الزواهرة، 2008، ص236).

إن قدرة اللون على الانجذاب نحو أطراف جديدة عن طريق توطيد علاقات جمالية معها يكسبه وظائف عملية تسمح له بالانفتاح في عالم أرحب وأفق أوسع وبذلك تزداد مهام الشاعر «اعلم أيها الشاعر العظيم، أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء، لا من يعددها ويحصي أشكالها وألوانها ... وإذا كان كذلك من التشبيه أن تذكر شيئا أحمر، ثم تذكر شيئين أو أشياء مثله في الاحمرار، فما زدت أن ذكرت أربعة أو خمسة أشياء حمراء بدل شيء واحد، لكن التشبيه أن تطبع في وجدان سامعك وفكره صور واضحة مما انطبع في ذات نفسك، وإما ابتدع التشبيه لرسم الأشكال والألوان محسوسة بذاتها كما تراها، وإنما ابتدع لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس إلى نفس، وبقوة الشعور وعمقه واتساع مداه ونفاده إلى صميم الأشياء يمتاز الشاعر عن سواه»35 (محمد فتوح أحمد، 1984، ص154).

فاللون إذا من التقنيات التي تعمل على تغيير نظرة الشاعر وإعطائها أبعادا جمالية.

اللون والصورة الفنية:

درست الصورة الفنية بعناية من قبل النقاد، عبر عصور ممتدة، الأمر الذي جعلنا نعتقد أنها موضوع مستهلك فهذا محمد الولي يقول: «من كثرة المؤلفات العربية التي كرست للصورة فقد تعرض مصطلح الصورة منذ أرسطو إلى اليوم إلى استعمالات متعددة»36 (محمد الولي، 1990، ص15)، وارتبطت الصورة باللون عند القدماء، وحينذاك وقعت الصورة ضمن الجانب الحسي، والملموس إذ الوصف والشكل، وظلت الصورة الفنية تحاك بعيدة عن الغموض والتعقيد، حيث كان اللون واضحا فيها وهذا ما أشار إليه يوسف حسن نوفل «حين تحدث القدماء في التصاوير والنقش والألوان لم يغب عن تصورهم

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

سيطرة الجانب الحسي على غيره من الجوانب، إذ ارتبط دور اللون في الصورة الشعرية عند القدماء بالشكل والهيئة الحاضرة في مجال وصف الأشياء وتجسيم المعنوي»37 (يوسف حسن نوفل، 1995، ص13)، وبث الحياة في الجوامد بطرق التشبيه والاستعارة المتمثل في شكل صورة بصرية.

إن الصورة اللونية تمتد وتشكل نفسها، وتستمد وجودها من مفرداتها وجملها وتراكيبها، ولم تعد صورة نمطية، ولا تخضع للمنطق الذي تخضع له اللغة التقريرية، فتصبح الألوان أكثر انسجاما في الوعي والخيال مما قد يشاهده الإنسان العادي، فالصورة الشعرية بمختلف تجلياتها تقارب وتوحد بين الحسي والمجرد، وتجمع بين ما يبدو متباعدا، وتكشف أوجه الشبه في اللامتناهيات.

وأخيرا:

- اللون لغة العقول به تدرك الأشياء، وتجسد الأفكار والمعاني.
- تماهى الشاعر الحديث مع الطبيعة، وجعل اللون كيانا يهيم به من سياق لآخر.
- جاءت الألوان مركبة ومفردة، إشارة وتضمينا، ومعظمها دلالات شعرية رسمت صورا مفعمة بألوان الحياة.
- الألوان تتحرك دلاليا على مساحة القصيدة لتعبر عن دلالات جمالية ونفسية ورمزية...

قائمة المصادر والمراجع:

1- أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1973م.
2- فرانكلين روجرز، الشعر والرسم، ترجمة مي مظفر، دار الشؤون للترجمة والنشر، بغداد، ط1، 1990م.
3- أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 2008م.
4- ميشال عاصي، الفن والأدب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1963م.
5- حافظ المغربي، اللون بين فلسفة الفن والشعر، مجلة جذور، السنة الثامنة، 2004م، العدد328.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

6- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، 1955م.
7- علي إبراهيم محمد، اللون في الشعر العربي قبل الإسلام "قراءة ميثولوجية" منشورات جروس برس، لبنان، ط1، 2000م.
8- أف أر بالمر، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة، علم الدلالة، مطبعة العمال المركزية، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1985م.
9- أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا، الشفاء، المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر، د ط، 1988م.
10- أبو ناصر محمد بن محمد الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، مكتبة جبيح وأولاده، الأزهر، مصر، دط، دت.
11-محمد عثمان نجاتي، الإدراك الحسي عند ابن سينا، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1980م.
12-محمد علي أبو ريان، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعارف، مصر، ط4، 1974م.
13-عز الدين إسماعيل، الشعر المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط5، 1994م.
14-ظاهر محمد هزاع الزواهرة، اللون ودلالته في الشعر – الشعر الأردني أنموذجا، دار حامد، عمان، الأردن، ط1، 2008م.
15-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1982، ط1، 1982م.
16-عساف، عبد الله، الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا، دار دجلة، سوريا، ط1، 1996م.
17-بدر عبد المحسن، نجيب محفوظ، الرؤية والأداة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1978م.
18- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، ط1، 1984م.
19-سمير علي سمير الدليمي، الصورة في التشكيل الشعري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1990م.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

20-جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار الحوار، ط1، 1983م.

21-محمد حافظ ذياب، جماليات اللون في القصيدة العربية، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، العدد 2، المجلد 5، يناير فبراير مارس 1985م.

22-عبد الرحمان بدوي، فلسفة جمال والفن عند هيغل، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

23-أميرة حلمي مطر، مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1989م.

24-أبو عبيدة بن معمر بن المثنى، كتاب الخيل، حيدر أباد الدكن، الهند، ط1، 1940م.

25- محمد الولي، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

26- يوسف حسن نوفل، الصورة الشعرية والرمز اللوني، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1995م.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 01 بتاريخ 2020/06/10م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

النقد التطبيقي المغربي القديم ومؤلفاته

-قراءة مركزة في المضامين-

د/جلول دواجي عبد القادر

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف

الملخص:

تناقش الورقة البحثية المتواضعة هذه حرص النقاد المغاربة القدامى على استجلاء مكامن الجمال في النص الأدبي وخاصة الشعر من خلال معايشة الأديب للنص من الداخل، وإدراك تفاصيل إنشائه، لان النص الأدبي يقتضي في نظر النقاد المغاربة القدامى أن يتلبس بعضا من أغوار النفس التي أنتجته، ومن هنا "كان لابد من وصل ما يحمله النص من قيمة فنية بما يتطلبه المجتمع الذي نشا فيه ذلك النص، لان المبدع ينشئ النص الأدبي وهو واع بهذا التفاعل، لذا يحاول إن يكون الالتحام قويا".

لقد عايش النقاد المغاربة تجربة نقدية مستندين في كثير منها على إخوانهم المشارقة، فكانت نظرتهم إلى الأدب على انه كل كلام يثير في النفس انفعالات عاطفية أو إحساسات جمالية، آخذين في الحسبان أهمية العلاقة القائمة على اللغة والعقل والبناء الفني إضافة إلى الذوق، وهي في جملتها أهم المكونات التي تطبع الشخصية الأدبية المبدعة من جهة، و تضفي الجمالية على النص الأدبي، و يزيد النقاد المغاربة على هذه المكونات العقل الذي يؤلف بينها، و يشد بعضها إلى بعض، إذ ما من كلام غلب عليه العقل إلا زانه وصوبه، ثم لا بد كذلك من ذوق مبعثه الإحساس بالجمال، فهل فعلا المدرسة المغربية تركت بصمتها في النقد العربي وتميزت عن نظيرتها المشرقية إن لم نقل تفوقت عليها في أحايين عديدة؟ وفيم تمثلت هذه

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الاسهامات؟ وما الموضوعات والتيمات النقدية التي تطرقت إليها وفصلت الحديث والتعمق فيها؟ هذا ما سيجيب عنه هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: النقد- المغرب – المؤلفات

Ancient Moroccan applied criticism and its literature Concentrated reading of contents

Abstract:

This modest research paper discusses the ancient Moroccan critics' keenness to clarify the beauty points in the literary text, especially poetry, through the author's experience of the text from within, Realizing its creation details, Because the literary text requires, in the eyes of the old Moroccan critics, to wear some of the depths of the soul that produced it, Hence, "the artistic value of the text had to be linked to what is required by the society in which that text originated, because the creator creates the literary text and is aware of this interaction, so he tries to make the adhesion strong." Moroccan critics have experienced a critical experience, based in many of them on their Muslim brothers,Their perception of the literature was that every word provokes emotional emotions or aesthetic sensations in the soul, taking into account the importance of the relationship based on language, reason and artistic construction in addition to taste,They are among the most important components that print the creative literary character on the one hand, And aesthetic confer on the literary text, and Moroccan critics add to these components the mind that composes them, and tightens each other, since there is no speech that the mind has overcome but adultery and aiming at, Then it is also necessary to taste with a sense of beauty, So did the Moroccan school leave its mark on Arab criticism and distinguished it from its eastern counterpart, if not say that it surpassed it in any cases? What were these contributions like? What are the critical topics and themes that I touched upon, detailing the

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

discussion and delving deeper into it? This is what this article will answer.
Key words: criticism - Morocco - literature

في مفهوم النقد التطبيقي في النقد المغربي القديم:

يصطلح على الدراسات التي تعنى بشرح وتحليل النصوص الأدبية، ومعالجتها معالجة مباشرة تختبر قدرة النظريات النقدية على المواجهة من عدمها، بالنقد التطبيقي، وهو بعكس التنظير الذي يهدف إلى التأصيل وتحديد المفاهيم والتصورات يعمل على اختبار المفهوم النظري، وهو مرحلة تالية ولكنّه في غاية الأهمية إذ من شأنه أن يعطي مرحلة التنظير التي تسبقه الحياة والاستمرارية، أو يقوّضها ويثبت عدم صلاحيتها (ترشاق سعاد: النقد المغربي بين التنظير والتطبيق: دراسة في تطور النقد المغربي القديم من القرن الخامس حتى القرن السابع للهجرة، ص269).

وممارسته هدف كلّ ناقد امتلك أدوات النقد المعرفية والإجرائية وتمكّن من مناهجه، قال عبد الملك مرتاض: « التطبيق لا غنى عنه في مجال استثمار النتائج، واستخلاص الثمرات من البحث العلمي، حيث بفضله تتجسّد النظريات المجردة، وتتبلور الافتراضات العائمة، في شكل نتائج يفيد منها الإنسان ويرتقي بها في حياته» (عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 21.)

وقد مارسه النقاد القدامى في كتب عديدة حملت بصمات كلّ عصر أشهرها: كتاب(الموازنة بين الطائيين)، و(الوساطة بين المتنبي وخصومه)وغيرها.

وأمّا بالنسبة لنقاد المغرب العربي القدامى فقد تراوحت ممارستهم له بين المعالجة النقدية التطبيقية المباشرة، كما في كتاب(القراضة)لابن رشيق، و(ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة) للقزاز القيرواني، وبين جعل التطبيق مبثوثا ضمن قضايا نقدية عدّة كما جاء في (العمدة)، و(مسائل الانتقاد) لابن شرف، و(زهر الآداب وثمر الألباب) للحصري القيرواني، و(الذخيرة) لابن بسام، و(إحكام صنعة الكلام) لابن عبد الغفور الكلاعي.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

قراءة مركزة لمصنفات النقد التطبيقي في المغرب:

1- **العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي:** كتاب ابن عبد ربه الذي خلد ذكره في الدنيا، ألفه في وقت كانت فيه قرطبة في أوج ازدهارها. وقد جرت العادة أن يقال عند ذكره أن الكتاب لما وقع إلى الصاحب ابن عباد قال: هذه بضاعتنا ردت إلينا. إلا أن منهجه في تقسيم الكتاب وتنسيقه حبب إليه عشاق الأدب فتداولوه، وراج في الشرق كما يقول محمد كرد علي على مر العصور، وإن كان قد تسوقه من بضائع المشرق وأسواقه. ولا خلاف في أن اسم الكتاب الذي سماه به مؤلفه هو (العقد) وأن صفة (الفريد) نعت لحق الكتاب في وقت متأخر، ولعل أول من نعته بالفريد هو الأبشيهي صاحب كتاب (المستطرف من كل فن مستظرف) المتوفى سنة 852هـ قال ابن خلكان: (وهو من الكتب الممتعة، حوى كل شيء) وقال ابن كثير: (يدل من كلامه على تشيع فيه) واختصره أبو إسحق الواديَاشي المتوفى سنة 570هـ وابن منظور صاحب لسان العرب. وقد أبان مؤلف العقد عن منهجه في تأليف الكتاب بقوله: (ألفتُ هذا الكتاب وتخيرت نوادر جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان وسميته بالعقد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة السلك وحسن النظام وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً، كل كتاب منها جزآن، فتلك خمسون جزءاً قد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد، فأولها كتاب اللؤلؤة في السلطان.).

طبع الكتاب مرات كثيرة، كان أولها طبعة بولاق (1292هـ 1875م) قال السعيد الورقي: "وقد تم حديثاً اكتشاف عدد من مخطوطات العقد في مكتبات المغرب لم تكن معروفة من قبل، الأمر الذي يجعل من المفيد إعادة تحقيق الكتاب في ضوء ما تتضمنه هذه المخطوطات من جديد. (المرجع: في مصادر التراث العربي، (د. السعيد الورقي، ص56 وانظر ما كتبه حازم عبد الله في مجلة آداب الرافدين (المجلد 7 ص351) بعنوان: العقد الفريد بين المشرق والأندلس").

2- زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق بن علي بن إبراهيم بن تميم الحصري القيرواني:
هو أبو إسحاق الحصري إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن تميم الأنصاري المعروف بالحصري القيرواني، وصفه ابن رشيق في-الأنموذج بأنه أبرز أدباء وعلماء القيروان، وأثنى عليه ابن بسام في(الذخيرة)، وابن خلكان

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

في(وفيات الأعيان)، له ديوان شعر إضافة إلى مجموعة كتب أدبية منها(جمع الجواهر في الملح والنوادر)، و(نور الطرف ونور الظرف)، و(المصون في سر الهوى المكنون)، و(طيبات الأغاني ومطربات القيان)، اختلف في سنة وفاته بين سنوات413 هـ و450هـ و453هـ، ومن المرجح أنه توفي سنة (453222هـ) كما يتبيّن من تصريحات الحصري نفسه في كتابه (ترشاق سعاد: النقد المغربي بين التنظير والتطبيق، ص270.).

يعتبر كتاب(زهر الآداب وثمر الألباب) للحصري(ت 222 هـ) من أبرز كتب النقد بالمغرب العربي قديما نظرا لقيمة مؤلفه في عصره من جهة، وقيمة الكتاب من جهة ثانية لما أظهره من مادّة أدبية غزيرة تحكّم فيها بذوق أدبي بحت (ابراهيم بن إسحاق الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، ص44)، يقول الحصري ملخّصا محتوى كتابه: « فهذا كتاب اخترت فيه قطعة كاملة من البلاغات، في الشعر والخبر، والفصول والفقر، ممّا حسن لفظه ومعناه، واستدلّ بفحواه على مغزاه، ولم يكن شاردا حوشيّا، ولا ساقطا سوقيّا، بل كان جميع ما كان فيه من ألفاظه ومعانيه». (ابراهيم بن إسحاق الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، ص22)

ومؤلفه أحد أقطاب الثقافة والنقد الذين أنجبتهم القيروان، بشهادة نقاد ومؤرخين أمثال ابن بسام الذي قال عنه: " كان أبو إسحاق هذا صدر الندى، ونكتة الخبر الجليّ، وديوان اللسان العربي "(ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، المجلد 1، ص584) ، وقال يصف كتابه: « لولا أنّه شغل أكثر أجزائه وأنحائه، ومرج يحبو حمى أرضه وسمائه، بكلام أهل العصر دون كلام العرب، لكان كتاب الأدب، لا ينازعه ذلك إلا من ضاق عنه الأمد، وأعمى بصيرته الحسد"(المصدر السابق ، م 1، ص584)

وابن رشيق الذي قال واصفا تشعّبه في العلم: «ونظر في النحو والعروض، ولزمه شبّان القيروان، وأخذ في تأليف الأخبار وصنعة الأشعار مما يقرب في قلوبهم، فرأس عندهم وشرف لديهم، ووصلت تأليفاته صقلية وغيرها» (ابن رشيق، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص44.)

أما منهج الكتاب فقد غلب عليه عدم الترتيب والتبويب، ما يجعل قارئه يجد صعوبة في البحث عن القضايا النقدية لعدم وجودها مستقلة أو ضمن عناوين خاصة، إذ يجد الباحث نفسه أمام طريقة مميزة

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

في التأليف تفرض عليه التنقل بين موضوعات الأدب والنقد وأخبار الشعر والشعراء والسير وبعض تاريخ القبائل العربية، فصاحبه يستشهد بالنص الشعري كما النثري في موضع واحد غير حافل باعتبارات الزمان ولا المذهب ولا طبقة الشاعر بذكر المتأخر قبل المتقدم. (ترشاق سعاد: النقد المغربي بين التنظير والتطبيق، ص270).

ومن الشواهد التي تدلّ على أسلوب الاستطراد الذي ميّز هذا المؤلف ما أتى به من أخبار وشعر لما تحدّث عن قول الرسول صلى الله عليه وسلمّ: "إنّ من الشعر لحكمة، وانّ من البيان لسحرا (الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، ص39.)، حيث استطرد منه لتتبع معنى تشبيه أثر الكلام الحسن بالسحر، ومقارنة أداء الشعراء فيه زيادة ونقصانا عبر العصور الأدبية، فلمّا أشفى غليله منه قطع الكلام فيه وعاد إلى ما كان بصدد عرضه بعبارة « عاد الحديث الأول» (المصدر نفسه، ص:53.)

ومن الأمور التي أبانها هذا الكتاب الثقافة الدينية الكبيرة التي اتصف بها صاحبها من خلال الأخبار التي أوردها عن الرسول(صلى الله عليه وسلّم)، وعن الخلفاء (رضوان الله عليهم جميعا)، ومن أمثلة ذلك قوله بعد أن خرج عن موضوعه استطرادا: "رجعت إلى ما قطعت مما هو أحق وأولى، وأجلّ وأعلى، وهو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم النجر، العظيم القدر، الذي هو النهاية في البيان، والغاية في البرهان، المشتمل على جوامع الكلم، وبدائع الحكم (المصدر السابق، ص:59.)»

ومن تجليات ثقافته الإسلامية كذلك ذكره أخبارا مهمة عن عصر النبوة والخلفاء الراشدين، الذين خصص لهم حيزا مهما من كتابه وهو بمعرض حديثه عن أهمية الشعر كما حدّدها الرسول صلى الله عليه وسلم، وخبر أبي سفيان بن الحارث، والنضر بن الحارث مع بعض شعر في مناسبة حديثه عن حرب الرسول صلى الله عليه وسلم مع كفار قريش(المصدر نفسه، ص:20.).

قال مصرحا بتعمده ذكر ما وجده: "قد علقت بذيل ما أوردته، وألحقت بطرف ما جردته، من كلام سيد الأولين والآخرين، ورسول رب العالمين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار الطيبين الطاهرين، قطعة من كلام الخلفاء الراشدين، قدمتها أمام كل كلام، لتقدمهم على الخلق، وأخذهم بقصب السبق"(المصدر نفسه، ص86.).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

عموما، كتابه ساحة التقى فيها ما أثر عن الرسول(صلى الله عليه وسلم) بأقوال الصحابة الخلفاء (رضي الله عنهم)، بأقوال الأدباء والبلاغيين والشعراء والنقاد، وأبرز أحداث تاريخ صدر الإسلام لما له من خصوصية في تاريخ الأمة الإسلامية والشعر العربي.

ومن الجانب التطبيقي، فصاحبه قدّم قدرة عالية على التمثيل وإقامة الشاهد على النظري، بحيث يلحق القول والمفهوم الذي يناقشه بالمثال الملائم خدمة للقارئ.

3- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الأندلسي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة كتابٌ ألفه أبوالحسن علي بن بسَّام، التغلبي، الشنتريني (460 - 542هـ، 1067-1147م). من أعلام الكُتَّاب والنقاد الأندلسيين في القرنين الخامس والسادس الهجريين. ولد بجزيرة شنترين، وإليها نسب، في أسرة ميسورة الحال، عنيت بتربيته وتعليمه وإعداده لمستقبل زاهر. أظهر ابن بسام قدرًا من الموهبة الأدبية منذ الصغر، وبدأ يكتب الشعر والنثر فلفت الأنظار إليه.

و كتاب الذخيرة أهم آثار ابن بسام الأدبية. وقد اكتسب الكتاب شهرة جعلت ابن بسام والكتاب فرسي رهان؛ يُكتفى بذكر الذخيرة أو ابن بسام ليدل أحدهما على الآخر.

توفر ابن بسام على كتابه الذخيرة وسعى لجمع مادته، التي تقدم تراجم للشعراء والأدباء لعصر الطوائف، وأوائل عصر المرابطين، كما تقدم طائفة من الأخبار السياسية والاجتماعية عن أمراء الأندلس وحكامها.

ينقسم كتاب الذخيرة إلى أقسام أربعة: 1- قسم يتحدث عن قرطبة وما يواليها من وسط الأندلس.2- قسم عن إشبيليا وما يجاورها من غربي الأندلس. 3- قسم عن بلنسية وما يصاقبها من شرقي الأندلس. 4- قسم يتحدث عن الأدباء والشعراء والعلماء الذين وفدوا على الأندلس من المشرق أو من شمالي إفريقيا.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ولابن بسام في هذا الكتاب نظرات نقدية فاحصة؛ إذ لم يكتف بالنماذج الشعرية أو النثرية، بل كان يعمد إلى شيء من التحليل والتقويم، وهو بذلك أدق حسًا في النقد من الثعالبي في يتيمة الدهر. ومن العماد الأصبهاني في خريدة القصر.

يُعد كتاب الذخيرة من المؤلفات التي أظهرت النزعة الأندلسية، وحاولت أن تجعل للأندلس شخصية أدبية وفكرية مميزة، ومن ثَم فهو يختلف في منهج تأليفه عن العقد الفريد لابن عبدربه؛ الذي استمد مادته من المشرق. فابن بسام كان يعيب على أهل الأندلس تقليدهم لأهل المشرق، وإهمالهم ما يتصل بأندلسهم. وقال في ذلك عبارته المشهورة ناعيًا على أهل الأندلس ذلك ,إلاّ أن أهل هذا الأفق أبوا إلاّ متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طنّ بأقصى الشام ذباب، لجثوا على هذا صنمًا وتلوا ذلك كتابًا محكمًا·

قدَّم كتاب الذخيرة صورة طيبة لوجوه الأدب الأندلسي؛ حيث ذكر أكثر من 90 شاعرًا وكاتبًا، محاولاً من خلال نماذجهم، أن يثبت تفوق الأندلس وأصالة أهله مقارنة بالمشرق.

توفي ابن بسام، بعد أن قدم سفْرًا أصيلاً وجهود سنين مضنية في المعرفة والبحث. ولولاه لظل الكثير من روائع الأدب الأندلسي محجوبًا عن الباحثين والدارسين.

4- مسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني:

هذا الكتاب من كتب النقد الفريدة والقليلة التي تجمع بين روعة العلم وجمال الأدب، لأنه مزيج بين الدرس والمغامرة الأدبية لقيامه على أسلوب فن المقامات، علما أن جزءا يسيرا فقط وصل من هذا المؤلف، وقد نقله ابن ظافر الأزدي في(بدائع البدائه.)

والكتاب مرتبط بعنوان آخر وهو(أعلام الكلام)، وهذا الأمر موضع خلاف بين النقاد، فقد نشر حسني عبد الوهاب في تونس في مجلة المقتبس كتابا بعنوان(رسائل الانتقاد)، ونشرت مكتبة الخانجي بالقاهرة كتابا بعنوان(أعلام الكلام) سنة 1344هـ/1926م عن نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة طلعت بدار الكتب المصرية كتب عليها « كتاب مسائل الانتقاد بلطف الفهم والانتقاد، تأليف الإمام البارع

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الماهر أبي عبيد الله محمد بن شرف القيرواني على لسان أبي الريان الصلت بن السكن بن سلامان وهما أعلام الكلام رحمهما الله تعالى وأنزلهما غرف الجنان بمنه وكرمه» (مصطفى عبد الواحد، ابن شرف القيرواني الشاعر القيرواني، ص26.)، رغم أنّ(مسائل الانتقاد) غير (أعلام الكلام) كما استنتج ذلك كثير من الدارسين (المرجع نفسه، 27.) .

وممّن خاض في إشكالية عنوان الكتاب منصور عبد الرحمن القائل بفكرة إن العنوانين لكتاب واحد أي في موضوع واحد، وهو النقد الأدبي، ويجري في شكل مقامة مجاراة لبديع الزمان الهمذاني المشتهر بهذا الفن، وما دعاه إلى هذا الاعتقاد هو أنّ ابن بسام حين ذكر ابن شرف قال إن له كتابا موسوما بأعلام الكلام وهو مقامات عارض بها بديع الزمان الهمذاني وفي واحدة منها أخبر عن الأدباء والشعر والشعراء (منصور عبد الرحمن، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري، ص63.).

إنّ ابن بسام حينما تحدث عن ابن شرف كأديب وافد إلى الأندلس ذكر أنّه مؤلف (أعلام الكلام) وذكر أن تسمية الكتاب قلبت(أبكار الأفكار) بإشبيلية (ابن بسام: الذخيرة، م1، ص171.)، وأورد مقطعا لابن شرف جاء فيه « ولم أجعل سوى ناظري معيني عليه، فصنّفت الكتاب الملقّب بـ « أبكار الأفكار»، يشتمل على مائة نوع من مواعظ وأمثال، وحكايات قصار وطوال، ممّا عزوتها إلى من لم يَحكِهَا، وأضفت نسجها إلى من لم يحُكْ◌ها، قد طرّزت بلمح الجدّ والهزل، وحسّنت بمقابلة الضّدّ للمثل، ليس في ذلك كلّه رواية رويتها عن قديم أو جديد، ولا حدّثت بها عن قريب ولا بعيد» (المصدر نفسه، م1، ص 179 وما بعدها) ، كما ذكر ابن بسام أن هذه إحدى مقاماته التي عارض بها البديع(ابن بسام: الذخيرة، م1، ص195 وما بعدها).

وموضوع الكتاب كما وصفه صاحبه هو ثمرة تأثّره بنماذج قصصية سابقة ككتاب(كليلة ودمنة)، و(كتاب النمر والثعلب) من وضع سهل بن هارون، ومقامات بديع الزمان الهمذاني على لسان عيسى بن هشام(ابن شرف القيرواني: مسائل الاعتقاد، ص04.)، فهو أحاديث اختلقها ووضع لها أخبارا ذات مقاصد (ترشاق سعاد: النقد المغربي بين التنظير والتطبيق، ص279.).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ومن الانشغالات المهمة التي طرحها بثقة عالية وتفرّد جلي في مقامته حقيقة النقد ومصدره فقال فيها: « النقد هبة في الموالد، وفيه زيادة طارف إلى تالد، ولقد رأيت علماء بالشعر ورواة له ليس لهم نفاذ في نقده، ولا جودة لهم في فهم رديّه وجيّده، وكثير ممّن لا علم له به يفطن إلى غوامضه وإلى مستقيمه ومتناقضه» (ترشاق سعاد: النقد المغربي بين التنظير والتطبيق، ص44.)، فهو مؤمن بكون النقد موهبة كالإبداع، لكنّه لا يجد مبرّرا للناقد إن أخذه التسرع أو التعصب إلى إصدار الحكم، لأن أهم ما يميز الناقد الحق أن يقوم في مهمته على التأمل والتعمق واعتماد الفكر وتمعّن جوهر النص، وفي ذلك قال« أول ما عليه تعتمد وإياه تعتقد، ألا تستعجل باستحسان ولا باستقباح، ولا باستيراد ولا باستملاح، حتى تمعن النظر وتستخدم الفكر، واعلم أنّ العجلة في كلّ شيء موطئ زلوق ومركب زهوق.»(ترشاق سعاد: النقد المغربي بين التنظير والتطبيق، ص44.)

كما تفرّد الرجل بمسألة مرتبطة بقراءة النصوص دون تعصب أو ميل إلى مبدع، أو مناصرة مذهب دون آخر، فحقق لكتابه قيمة نوعية لأنه قام بانتقاء أشهر نماذج الشعر العربي وقراءتها من الداخل قراءة كشفت له عن أخطاء نقدية، سببها تحكيم آراء الغير والتعصب.

ومن الأخطاء التي أصرّ على إعلانها خطأ زهير بن أبي سلمى في أبياته التي سيطرت على النقاد أزمنة، وعدّت عند كثيرين مرجعية لا يحلّ تجاوزها في غرض المدح، لما حوته من إشادة بالفضائل وتخطيط لمنهج القصيدة المادحة (ترشاق سعاد: النقد المغربي بين التنظير والتطبيق، ص ص 68-70.)، وقصيدة زهير هي قوله:

تَراه إِذَا مَا جِئْتَه متَهَلّلا كَأَنَّك تعْطِيهِ الذِي أَنْتَ سائِله

وابن شرف إضافة إلى كونه من النقاد الموهوبين صاحب شعر، ومنه أبيات يمدح بها علي بن أبي الرجال (ابن بسام: الذخيرة، م1، ص383):

سَلْ عَنْه وَانْطِقْ بِهِ وَانْظرْ إِلَيْهِ تَجِدْ مِلْءَ الْمَسَامِعِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمقَل

وشعر يتحسّر فيه على القيروان:

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

فَيَا لَيْتَ شِعْرَ الْقَيْرَوَان موطِنِي أعَائِدَةٌ فِيهَا اللَّيَالِي الْقَصَائِر؟

وَيَا رَوْحَ ِتي بِالْقَيْرَوَانِ وَبكْرَتِي أراجِعَةٌ روحهَا وَالْبَوَاكِر

كَأَنْ لَمْ تَكنْ أَيَّا منَا فِيكِ طَلْقَة وَأَوْجه أَيّاَمِ السّرورِ سَوَافِر(ترشاق سعاد: النقد المغربي بين التنظير والتطبيق، ص282.)

5- ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي القزاز القيرواني: موضوع الكتاب هو الضرورات الشعرية وهو موضوع لغوي ألّف فيه المبرّد (ت 286هـ) كتابا بعنوان (ضرورة الشعر)، وأبو سعيد السيرافي(ت 386 هـ)كتابا شرح فيه كتاب سيبويه(ضرورات الشعر)، وابن جني(ت 392 هـ)كتاب(ضرورة الشاعر)، وابن فارس اللغوي النحوي(ت 395 هـ) رسالة بعنوان(ذم الخطإ في الشعر)، وابن عصفور الإشبيلي النحوي(ت 663 هـ) كتاب (ضرائر الشعر)، ومحمد سليم بن حسين(ت 138 هـ)كتاب(موارد البصائر لفرائد الضرائر)، إضافة إلى كتب أخرى تحدثت عن الموضوع في بحوثها. (القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص08.)

كما كتب فيه محمود شكري الآلوسي كتابا أسماه (الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر) شرحه محمد بهجة الأثري، ويظهر على توافق مع فكرة أنّ الشاعر يجوز له ما لا يجوز للناثر غير أنه لا يتقبّل منها ما استحدثه المولدون من جوازات لأنّ « الضرائر سماعية لا يسوغ للمولد إحداث شيء منها لا شك أن كلام العرب إمام كل كلام، وخطابهم القدوة في جميع الأحكام، ليس لأحد من المولدين أن يسلك غير مسلك سلكوه، ولا أن يبتدع أسلوبا غير أسلوب عرفوه فلا مساغ لأحد أن يضطر إلى غير ما اضطروا إليه، أو يخالفهم في أصل مضوا عليه »(محمود شكري الآلوسي، الضرائر وما يجوز للشاعر دون الناثر، شرح محمد بهجة الأثري، ص09.)

أما كتاب القزاز فقد نشر بعنوان (ضرائر الشعر أو ما يجوز للشاعر في الضرورة)كما كتب على الصفحة الأولى من النسخة المنقولة عن نسخة بخطّ الشاعر القيرواني عبد الرحمن بن عبد الله المعافري

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المطرز، وحقّقه محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة، وقد ذكره ابن خلكان والصفدي بعنوان (ما يجوز للشاعر في الضرورة)، وحاجي خليفة في(كشف الظنون) باسم (ضرائر الشعر) (القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص26 وما بعدها.)

ومن فاتحة الكتاب يتبيّن موقف صاحبه من الضرورات وإجازتها للشعراء بسبب متطلبات الشعر قائلا« هذا كتاب أذكر فيه إن شاء الله ما يجوز للشاعر عند الضرورة من الزيادة والنقصان، والاتساع في سائر المعاني، من التقديم، والتأخير، والقلب، والإبدال، وما يتصل بذلك من الحجج، وتبين ما يمر من معانيه فأرده إلى أصوله، وأقيسه على نظائره. (القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص29)

وإمعانا في قبولها جعل هذا الناقد العلم بالضرورات الشعرية واجبا على الشاعر ليكون حجّة في يده يواجه به الطاعنين مهما بلغوا من العلم، قال في هذا الشأن: "وهو باب من العلم لا يسع الشاعر جهله ولا يستغني عن معرفته ليكون له حجّة لما يقع في شعره مما يضطر إليه من استقامة قافية، أو وزن بيت، أو إصلاح إعراب، وذلك أنّ كثيرا ممن يطلب الأدب، وأخذ نفسه بدراسة الكتب، إذا مرّ به بيت لشاعر من أهل عصره، أو لطالب من نظرائه، فيه تقديم أو تأخير، أو زيادة أو نقصان، أو تغيير حركة عما حفظ من الأصول المؤلفة له في الكتب أخذ في التشنيع عليه والطعن عليه، والإجماع على تخطئته"(القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص29.)

ثم ذكر أسباب التحامل على جوازات الشعر، وهي موجزة في عاملين: الأول منهما جهله ببعضها، وثانيهما :الوهم.

وقد اعتمد الناقد في درسه وشرحه لما يجوز من الضرورات وردّ ما هو مرفوض منها على مقابلة الشعر المتأخر بما سبقه، معتمدا على آراء اللغويين فيما يجوز من الاستعمال اللغوي وما شاع عند العرب منذ العصر الجاهلي إلى العصور الإسلامية، قاصرا عمله على نوع من الجوازات التي لا تعدّ عيبا فقال: «والأخذ على الشعراء كثير لمن طلب مثل هذا، وإنما قصدنا إلى ضرب من عيوب الشعر أردنا أن نقدمه أمام ما نحن ذاكروه، ومما يجوز للشاعر في شعره من غامض العربية ومستنكرها في المنثور ليكون فيما أخبرنا

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

حجة لهذا وأمثاله إذا كانت عيوبه أكثر من أن يتضمنها كتاب، أو يحيط بها خطاب، من الفساد في المعاني والخطأ في اللغة، واللحن في دقائق العربية، وفساد التشبيه، والتقديم والتأخير، ووضع الشيء في غير موضعه، واختلاف القوافي، وما يجوز فيها من الإكفاء والإقواء وغير ذلك» (القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص78)

فكتابه إذن عرض لما أخذ على الشعراء من غموض وفساد في المعاني وخطإ في اللغة والقوافي، مع التبرير لذلك ما أمكنه الأمر.

أمّا منهجه فيلاحظ عليه عدم اهتمامه بشرح المصطلحات أو تقديم المفهومات إلا عند اللزوم كما فعل أثناء حديثه عن عيوب القافية، إذ قدّم تعريفات مختصرة لكلّ من الإكفاء، والإقواء، والإيطاء، والإجازة، والسناد. (القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص 78-82.)

كما يلاحظ اكتفاؤه أحيانا بذكر العيب دون أن يقرر جوازه كما فعل في حديثه عن عيوب القافية، وربما لأنه لا يجد للشاعر مخرجا فيها، وقد عبّر عن ذلك فيما ذكره منها للنابغة كما في قوله:(القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص78)

قَالَتْ بَنو عَامِر : خَالوا بَنِي أسْد يَا بؤْسَ لِلْجَهْلِ ضَرّارا لأقْوَامِ

ثم قوله في القصيدة نفسها: (القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص78)

تَبْدو كَوَاكِبه وَالشَّمْس طَالِعَةٌ لا النور نورٌ وَلا الْإِظْلام إِظْلامُ

وقوله في أخرى: أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رائحٌ أَو مغْتَدِي عَجْلانٌ ذا زاد وَغَيْر مزَوَّدِ

وفيها قوله: زَعَمَ الْبَوَارِح أَنَّ رِحْلَتَنَا غدا وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الْغراب الأسودُ

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وختم أمثلته بقوله« :وهذا من أقبح العيوب(يقصد الإكفاء)، ولا يجوز لمن يكون مولّدا هذا، لأنه إنما جاء في شعر العرب على الغلط وقلة المعرفة به، وانه يجاوز طبعه ولا يشعر به، ألا نرى أن النابغة غني له به، فلمّا سمع اختلاف الصوت بالخفض والرفع فطن له ورجع عنه(القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص79)».

والقزاز من خلال أقواله لا يجيز للشاعر الخطأ في باب القوافي خاصة بعد أن صار العلم بها مضبوطا معروفا، والوقوع فيها جهل من الشاعر لا يغتفر.

وممّا جاء مفصّلا بسبب ميولاته اللغوية الفائقة حديثه عن جوازات الشاعر اللغوية من حيث الإعراب، ويلاحظ عليه فيما يخصّها أنّه يبيحها للشاعر دون أن ينقص من هيبة اللغة ولا سلامتها وفصاحتها، مستندا إلى آراء علماء اللغة كسيبويه، والأصمعي، والخليل، ومحمد بن يزيد، والفراء وأبي إسحاق، كما يذكر المصدر مرتبطا بالمؤسسة التي صدر عنها دون أن يذكر شخصا بعينه كإرجاعه بعض الآراء إلى مدرستي البصرة والكوفة.

وقد يذكر القزاز الضرورة التي أتى بها الشاعر ويشير معها إلى اختلاف مؤسسات النحو بخصوص إجازتها من عدمه، كما في قوله: "وممّا يجوز له: عند الكوفيين مدّ المقصور ولا يجوز عند البصريين وحجتهم في ذلك أنك لا تخفف الشيء بالحذف منه، وليس لك أن تزيد فيه ما ليس منه، فلذلك جاز عندهم قصر الممدود لأنك تحذف منه ما تخففه به، ولم يجز مدّ المقصور لأنك تزيد فيه ما ليس منه(القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص130).»

وفي منهجه يركن إلى المدرسة التي تؤيّد الجواز، من ذلك احتكامه إلى مدرسة الكوفة في إجازتها (إفراد كلتا)كما في قول الشاعر: (القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص202)

فِي كِلْتَ رِجْلَيْهَا سلامى وَاحِدَه كِلْتَاهمَا مَقرونَةٌ بزائِدَه

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

والى البصريين في قولهم بجواز تنوين(قبل) و (بعد) كما في قول الشاعر(القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص208):

ونَحْن قَتَلْنَا الازد أَزْدَ تَنوفَة فَمَا شَرِبوا بَعْدٌ عَلَى لَذَة خَمْرا

كما يحدث وأن يربط هذا الناقد بين ما أتى به الشعراء من جوازات وما يقاربه من القرآن الكريم، كجواز أن يجعل الشاعر في الفعل علامة من التثنية والجمع والفعل متقدم، فبعد أن مثّل لذلك بأبيات الشاعر(القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص231):

يَلومونني في اشتراء النخ يل أهلي وكلهم ألوم

ومثل ذلك موجود في القرآن الكريم كقول الله عز وجلّ: "ثم عموا وصموا كثير منهم" سورة المائدة،71، وقوله: "وأسروا النجوى الذين ظلموا" سورة الأنبياء،03.

وإجازته الضرورات لا يعني قبوله جميع غلط الشعراء، فمثلا اعتبر(تصحيح حروف الاعتلال قبل الألف التي تكون بدلا من التنوين في النصب) أقبح الضرورات، لعدم وجود سند يبرّر جوازها من كلام العرب ولا علماء اللغة من الكوفة أو البصرة (القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص204).

وهذا يدلّ على أنّ إجازته للضرورات لم تكن مطلقة، فمقياس القبول أو الرفض هو كلام العرب وما اتّفق منه مع كلام الله عز وجلّ، ثم آراء النحويين والبصيرين باللغة العربية، وأمّا ما تنافر واختلف حوله جمهور العلماء فيردّه إلى الرأي الأغلب، كاعتماده على الكوفيين في إجازة حذف باء الإلزاق في قولهم«مررت زيدا»، عوض قولهم: "مررت بزيد» ، ثم استدراكه قائلا: إنّ البصريين لم يجيزوها، وقال "يصحّ ما قال البصريون لأنّ الفعل لا يصل إلى اسم إلا بالباء ولا يوجد في كلام العرب بغير ذلك» (القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص135)

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وختم كتابه بالنتيجة التي بدأ بها وهي أنّ الضرورات بديهة في الشعر« لضيق الشعر، وما يوجبه الوزن والروي، ومن كان متكلما فهو في فسحة من لفظه أن يضطر إلى معيب منه، ونحن وإن لم نحط بكل ما يجوز له، فقد جئنا بأكثره، وكلام العرب آخذ بعضه برقاب بعض. (القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، ص135)»

فالجوازات أوسع من الإحصاء، لذلك ركّز على أشهرها ممّا يمسّ بناء العبارة من حيث التقديم والتأخير، أو بناء الكلمة كالحذف أو الزيادة وغيرها من الضرورات الفنية، وكأنه حسب محمد مرتاض يمهّد لحداثة الخطاب الشعري(محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، ص54.)، وهذه الشهادة وسام استحقاق لناقد زجّ بنفسه في معركة عنيفة سببها اختلاف وجهات النظر والأذواق إلى الشعر، يقول أحمد يزن منوّها بقيمة الكتاب والكاتب: «وأغلب آراء القزاز على ندرتها تكشف لنا بوضوح أنه ناقد بصير بمواطن الضعف والقوة في الشعر، وبمواطن الجودة والرداءة فيه، ويظهر ذلك خصوصا عندما تصدى للعيوب العامة التي أخذت على الشعراء بالنسبة للألفاظ والمعاني، إذ كشف النقاب عن تعنّت المتقدمين والتمس مخرجا للشعراء، والمرء لا يستطيع أن يغبطه على مواقفه الشخصية ونظراته المتحررة من كلّ المقاييس النحوية واللغوية، التي من شأنها أن تسيء إلى الشعر، ولا يسعنا إلا الإعجاب بقدرته على إحساسه بالشعر الجيّد، ومعرفته لمواطن الجمال فيه، تساعده في ذلك موهبته الفنية بوصفه شاعر، ومقدرته اللغوية بوصفه عالما، وثقافته النقدية بوصفه ناقدا (أحمد يزن: النقد الأدبي في العصر الصنهاجي، ص131.)»

وقد أعانه على كلّ هذا الجهد وعلى التحرّر الفكري عدد من المصادر التي بنى عليها مادته العلمية، وآراء أشهر علماء اللغة ومنهم :الآمدي(ت 271 ه)، والمبرد(ت 420 ه)، والفراء (ت 417ه)، فهذه الأسماء أضافت دون شكّ المصداقية لتبريراته وما أباح من جوازات «باعتبارها حقّا مشروعا، يلجأ إليه الشاعر ليكسر من حدّة القواعد اللغوية التي تعوق تجربته الإبداعية عن الانطلاق»(أحمد يزن: النقد الأدبي في العصر الصنهاجي، ص129.)

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وقد عكس كتاب الضرائر شخصية القزاز الفذة البصيرة بدقائق الشعر والقادرة على تمييز الخطإ من غيره في أقوال الشعراء من غير تعسّف أو ظلم، لما جبل عليه من علم، فهو يصدر الحكم على النص بكلّ حرية رغم سعة اطّلاعه على المقاييس اللغوية والنحوية، ما جعله محطّ إعجاب من قبل قرائه(أحمد يزن: النقد الأدبي في العصر الصنهاجي، ص131.).

غير أنّ إباحة الجوازات لم يسلم من معارضة في كتب نقدية أخرى ومنها وان لم يخصّص- بالكامل لهذا الدرس كتاب ابن رشيق(العمدة)في(باب الرخص في الشعر)، حيث أعلن عدم- جواز الضرورات بكلّ أنواعها لأنّها دليل عجز قائلا «لا خير في الضرورة »(ابن رشيق: العمدة، ج2، ص273)

فالشاعر وفقه لا يلجأ إلى الضرورة إلّا اضطرارا نافيا عن القدامى ركوبهم إليها كحلّ لأنهم جبلوا على الفصاحة والسلامة. (ابن رشيق: العمدة، ج2، ص273)

5- ابن رشيق المسيلي الجزائري وكتابه (العمدة):

هو أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، شاعر وأديب وناقد شهير وأحد البلغاء الأفاضل، ولد بالمسيلة (المحمدية) سنة 390هـ، وكان أبوه مملوك رومي لرجل من الأزْد، وكانت صنعة أبيه في بلده الصياغة، فعلّمه أبوه صنعته، وقرأ الأدب بالمسيلة، وقال الشعر قبل أن يبلغ الحُلُم، ولكن قريحته الوقّادة لم تجد بالمسيلة مجالاً؛ فاشتاق إلى لقاء أهل الأدب. فرحل إلى القيروان سنة 406هـ (ابن رشيق: العمدة، ج1، ص10) ، وعمره آنذاك ستَّ عشرة سنة، وتتلمذ فيها عند مشاهير العلماء من أمثال أبي عبد الله محمد بن جعفر القزّاز القَيرواني، وأبيمحمد عبد الكريم بن إبراهيم النّهشلي(الراجكوتي، عبد العزيز الميمني. ابن رشيق. المطبعة السلفية، القاهرة: (1343هـ)، ص 40.)، واشتهر في القيروان، ومدح صاحبها «المعزّ بن باديس بن منصور»، فلمّا عرف ابن باديس مكانته من الأدب وقول الشعر، قرّبه، فلزم ديوانه وأخذ الصلة منه.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ومن أبرز الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن رشيق: الشيخ طاهر بن عبد الله، وعبد الكريم النهشلي ، وأبو عبد الله التميمي محمد بن جعفر القزاز، وأبو إسحاق الحصري القيرواني، وأبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل الخنشي الضرير، و أبو الحسن علي بن أبي الرجال .....الخ.

وكان بينه وبين ابن شرف القيرواني الشاعر مناقضات ومهاجاة؛ وذلك لأنهما كانا شاعري ابن باديس، واتصلا بخدمته في وقت واحد. فوقعت المنافسة بينهما، وتخارجا في الهجاء. وعمل ابن رشيق عدة تصانيف في الرد عليه، وإخراج معايب أقواله، كرسالة سمّاها «ساجور الكلب» و«الرسالة المنقوضة».

ولم يزل ابن رشيق على ما هو عليه من التأليف والتصنيف إلى أن هوجمت القيروان، وقتل أهلها، وخرّبت دورها، وانتهبت أموالها. وقتها فرّ ابن رشيق إلى ساحل البحر الغربي، ولكن لم يمكنه المقام هناك. فعبر البحر إلى جزيرة صِقِلّيّة، ونزل بـ«مازر» إحدى مدنها، فأكرمه أميرها. فلم يزل عنده إلى أن مات بمازر سنة 456هـ ـ في أشهر الأقوال ـ ، وقيل سنة 463هـ(ابن خَلِّكان: وفَيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. (تحقيق إحسان عباس). ج2 ، ص 76).

ومن تصانيفه: " العمدة في صناعة الشعر ونقده"، "قراضة الذهب في صناعة الأدب"، بحث فيه عن سرقات المتقدمين والمتأخرين من الشعراء؛ الشذوذ في اللغة، جمع فيه شواذّ كل باب؛" أنموذج الزمان في شعراء القيروان"، كتب فيه ما عثر عليه من تراجم أدباء القيروان؛ ديوان شعره؛ ميزان العمل في تاريخ الدول، عدّد فيه أيام الملوك؛ رسالة «ساجور الكلب»؛ «الرسالة المنقوضة»؛ رسالة «رفع الإشكال ودفع المحال»، وغير ذلك من المصنفات والرسائل.

قد يطرح هذا التساؤل: ما الباعث الدافع الذي حمل ابن رشيق على تأليف هذا الكتاب القيم؟ وما غرضه من وراء ذلك؟ لقد أفصح ابن رشيق عن هذا الباعث وذلك الغرض في مقدمته لكتابه، حيث يقول بعد ثنائه على سيده وولي نعمته ابن أبي الرجال: "فقد وجدت الشعر أكبر علوم العرب، وأوفر حظوظ الأدب، وأحرى أن تقبل شهادته وتمتثل إرادته، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم" إن من الشعر لحكما" وروي "لحكمة"، وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته، فيستنزل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم" مع ما للشعر من عظيم

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المزية، وشرف الأبية، وعز الأنفة، وسلطان القدرة، ووجدت الناس مختلفين فيه، متخلفين عن كثير منه، يقدمون ويؤخرون، ويقلون ويكثرون قد بوبوه أبوابا مبهمة، ولقبوه ألقابا متهمة، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة، وانتحل مذهبا هو فيه إمام نفسه، وشاهد دعواه، فجمعت أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتابه، ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه إن شاء الله. (ابن رشيق: العمدة، ج1، ص16)

فضل مصنف (العمدة):

هو كتاب يتناول فن الشعر وما يتصل به وبنقده؛ والنقد في هذا الكتاب يمتزج بالبلاغة، ولذلك يتحدث في جزء كبير منه عن البلاغة وفنونها.

يتألف كتاب العمدة من جزأين يشتملان على مائة وستة أبواب، راعى فيها كل ما يتعلق بالشعر بتبويب مناسب حسن. ويمكننا درج أبواب الكتاب ضمن: قيمة الشعر وأثره في حياة العرب، بيئة الشعر المكانية وجوّه الزماني، حديث حول الشعراء، ملاحظات نقدية في الشكل والعروض، وبحوث في البلاغة.

والذي دفع الكاتب إلى تأليفه أنه وجد أن الشعر أكبر علوم العرب، وأوفر حظوظ الأدب؛ فيعدّد فضائل الشعر والأقوال المأثورة فيه، ويذكر اختلاف الناس في مذاهبه، ويقول إنّه جمع فيه أحسن ما قالوه، وصبّ آراءه بأسلوبٍ هو من قريحته وإنشائه، وجمع فيه كل شيء مع ما يناسبه، وأحسن تبويبَه (التونجي، محمد. المعجم المفصل في الأدب. (ط2). ص661.).

فلمّا ظهر للناس هذا الكتاب، أقبلوا عليه حتى وقع محسوداً لبعض خصوم مؤلفه ابن رشيق؛ فعابوا عليه السرقة والانتحال حتى اضطُرّ على أن يدافع عن نفسه في كتابه، ويدعوهم إلى الإتيان بمثله أو ببعضه، فيقول: "وقد بلغني أن بعض من لا يتوّرع عن كذب، ولا يستحيي من فضيحة، زعم أنّي أخذت عنه مسائل من هذا الكتاب، لو سُئِل عنها الآن ما علِمها. والامتحان يقطع الدَّعوى....وكنتُ غنيّاً عن تهجين هذا الكتاب بالإشارة إلى من أشرتُ إليه، أنَفاً من ذكره، وعُزوفاً بهمّتي عن الانحطاط إلى مساواته، ولكني رأيتُ السكوت عنه عجزاً وتقصيراً"(ابن رشيق: العمدة، ج1، ص04).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ولكن من يطلع على الكتاب، يعترف بفضل مؤلفه وسعة علمه، ويجد كتابه غنياً بالأفكار والآراء. فهو وإن كان يتقيد بآراء القدماء ونقلها، ولكن لم يكتف بذلك، بل ينقدها ويأتي برأيه الذي ينبعث من قريحة نفسه ونتيجة خاطره. فهو صاحب آراء يرجع إليه الفضل في اكتشافها وبيانها، ومن الذين نوهوا بأمية الكتاب وميزته بالفرادة والتميز ابن خلدون في مقدمته حيث يقول: «هو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وإعطاءِ حقها، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله»(ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد.. العبر وديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ص 791.).

ويقول القفطي صاحب كتاب "أنباه الرواة": «هو أجلّ كتبه وأكبرها، واشتمل من هذا النوع على ما لم يشتمل عليه تصنيف من نوعه، وأحسَنَ فيه غاية الإحسان، وذُكر هذا الكتاب بحضرة القاضي الأجلّ الفاضل عبد الرحيم بن علي البيسانيّ، فقال: هو تاج الكتب المصنفة في هذا النوع»(القفطي، علي بن يوسف. إنباه الرواة على أنباه النحاة. (ج1). ص339.).

كما يعتقد شوقي ضيف أن «قيمة العمدة في تاريخ البلاغة ترجع إلى دقة جمعه للآراء المتقابلة في فنونها المختلفة»(ضيف، شوقي. البلاغة، تطوّر وتاريخ. ص 152.).

ويقول عبد الرؤوف مخلوف: «تدور مباحث كتاب العمدة حول النقد والبلاغة، وله في ذلك الباع الذي لا يُطاوَل»(سيد رضا سليمان زاده نجفي وغلام رضا شانقي: دراسة حول ظاهرة التكرار من خلال آراء ابن رشيق النقدية في كتابه العمدة، مجلة بحوث في اللغة العربية وآدابها ، ص 54.).

ومن الفكر النقدية التي تحدث عنها ابن رشيق في عمدته نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

قضية اللفظ والمعنى: اهتم ابن رشيق بالقضية وخصص لها بابا سماه "باب في اللفظ والمعنى" وقد عرض فيه لجملة من الآراء المختلفة تخص الموضوع قائلا: "ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب: منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووكده، ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته، ولا يبالي

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته: كابن الرومي، وأبي الطيب، ومن شاكلهما: هؤلاء المطبوعون".

إن ابن رشيق حاول أن يقف موقفا معتدلا في قضية اللفظ والمعنى، غير أنه لم يستطع أن يخفي ميله إلى تفضيل الألفاظ حين صرح بأن أكثر الناس يميلون إلى العمل على جودة الألفاظ وحسن السبك وصحة التأليف أما المعاني فهي موجودة في طباع الناس يستوي فيها الجاهل والحاذق.

قضية الطبع والصنعة: استفتح ابن رشيق حديثه عن القضية ببيان أن الشعر لا يخرج في طبيعته الفنية عن مذهبين: الطبع والصنعة .ثم راح يحدد مفهوم كل منهما، وأوضح أن الصنعة نوعان: مذهب صنعة يعتمد الطبع العفوي مع التنقيح والتهذيب، ومذهب صنعة يعتمد القصد والتكلف، يقول ابن رشيق: "ومن الشعر مطبوع ومصنوع، فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولا، وعليه المدار والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم، فليس متكلفا تكلف أشعار المولدين، لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمل، لكن بطباع القوم عفوا، فاستحسنوه ومالوا إليه بع الميل، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره، حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيب:يصنع القصيدة، ثم يكرر نظره فيها خوفا من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة، وربما رصد أوقات نشاطه فتباطل عمله لذلك، والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل، فتترك لفظة للفظة، أو معنى لمعنى، كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض". (ابن رشيق: العمدة، ج1، ص129)

قضية القديم والجديد: عقد ابن رشيق بابا في" القدماء والمحدثين" حيث نهل من علم سابقيه من الرواد واللغويين والنقاد؛ كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وابن قتيبة وابن وكيع وعبد الكريم النهشلي، وشيخه القاضي أبي الفضل جعفر بن أحمد النحوي، وفي (العمدة) يفتتح بحثه في هذه القضية بتأكيد وجود القديم والحديث، ما دام هناك أناس يتعاقبون ويخلفون بعضهم في عجلة الزمن، يقول: "كل قديم من الشعراء، فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله(ابن رشيق: العمدة، ج1، ص90).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وهو يرى أن الرواة واللغويين متعصبون للقديم على الجديد أو المحدث المولد، وسبب ذلك حاجتهم في الشعر إلى الشاهد اللغوي وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون. (ابن رشيق: العمدة، ج1، ص91)

قضية السرقات الأدبية: وقد تحدث ابن رشيق في منجزه النقدي (العمدة عن أنواع السرقات وألقابها، منها: الاصطراف :صرف الشاعر بيتا أعجب به إلى نفسه والاجتلاب أو الاستلحاق :صرف الشاعر البيت إلى نفسه على جهة المثل أو التمثُّل. أما الانتحال :فهو ادعاؤه البيت جملة، ولا بد يصدر هذا الادعاء من شاعر يقول الشعر، وإلا فهو ادعاء، ولا يقال له انتحال. الإغارة والغضب :أخذ الشاعر شعر غيره غلبةً وقسرا. المرافدة أو الاسترفاد :أخذه على سبيل الهبة والهدية. الاهتدام أو النَّسخ :السرقة فيما دون البيت. أما النظر والملاحظة أو الإلمام، فهي:تساوي المعنيين دون اللفظ مع خفاء الأخذ، ومنه تضادُّ المعنيين مع دلالة أحدهما على الآخر. والاختلاس أو النقل: تحويل المعنى ونقله من غرض إلى غرض، كأن يصرف من النسيب إلى المديح. والموازنة : أخذ بنية الكلام ولفظه دون معناه. والعكس :هو الموازنة، إلا أنه يجعل مكان كل لفظة ضدها. والمواردة : اتفاق الشاعرين في المعنى وتواردهما في اللفظ، وقد جمعهما عصر واحد ولم يسمح أحدهما شعر الآخر.أما الالتقاط والتلفيق، أو الاجتذاب والتركيب :فهو تأليف الشاعر البيت من أبيات غيره على وجه التلفيق والتركيب(ابن رشيق: العمدة، ج2، ص281).

إن كتاب (العمدة) لابن رشيق نال شهرة واسعة في مجال النقد الأدبي، "في جزأين وفي كل جزء عدة أبحاث قصيرة أطلق عليها أبوابا بلغت في جملتها مائة وستة أبواب، منها أربعة وأربعون في الجزء الأول واثنان وستون في الجزء الثاني يجمع بينهما خط واحد هو الحديث عن الشعر"(أحمد سيد محمد: المصدر الأدبي، مفهومه وأنواع دراسته، ص 106.) (أحمد سيد محمد: المصدر الأدبي، مفهومه وأنواع دراسته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1986.)

6- **قراضة الذهب في نقد أشعار العرب:**

وهو أحد كتب ابن رشيق طبع عام (1344هـ/1926م) بالقاهرة، وكانت كما وصفها الشاذلي بويحي محقِّقها خالية من كلّ دراسة ومن الضبط والتحقيق وتصليح التحريف- أحيانا، والمخطوطتان المحفوظتان من هذا الكتاب هما مخطوطة باريس بالمكتبة الوطنية ومخطوطة القاهرة .كتبها ابن

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

رشيق إلى أبي الحسن علي بن القاسم اللواتي كما تدلّ عليه مقدمتها (ابن رشيق، قراضة الشعر في أشعار نقد أشعار العرب، ص ص 8-12.).

وتعكس الرسالة طريقة تفكير مؤلفها النقدية ونظرته للصناعة الشعرية و(الخلق الشعري)على حدّ المصطلح العصري(ابن رشيق، قراضة الشعر في أشعار نقد أشعار العرب، ص 06.)، وإضافة إلى كونها بحث في السرقة الأدبية، فهي« تتبّع المعاني الشعرية ووجوه البديع في شعر الشعراء منذ أن « اخترعها » مخترعها فتناولها منه من جاء بعده فزاد عليه وحسّن أو قصّر عنه فأخفق كذلك بداية من العصر الجاهلي إلى عصر ابن رشيق» . (ابن رشيق، قراضة الشعر في أشعار نقد أشعار العرب، ص 06.)

والقراضة من الأعمال النقدية التي زادت ابن رشيق منزلة بين النقاد المغاربة، لأنها إضافة- إلى غرضها الأساسي وهو "دراسة بعض النصوص الشعرية وتقويمها من خلال مقياس الخلق والإبداع، وإحراز فضيلة السبق للمتقدم، وفضيلة المساواة أو الزيادة للمتأخر"(محمد بن سعد الدبل: المقاييس البلاغية والنقدية في قراضة الذهب لابن رشيق، ص89.). لم تخل من- الحديث عن المقاييس البلاغية التي اشتهرت في عصره، من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل ومطابقة وتجنيس ومبالغة واحتراس وتذييل وتتبيع وإشارة وإرداف وإيجاز والتفات وحذف وتقسيم وعكس وغيرها.

وقد عوّل فيها صاحبها على معاني امرئ القيس لأنّه حسبه « المقدّم لا محالة وان وقع في ذلك بعض الخلاف فالمميز الحاذق بطرق البلاغة يجد لكلامه من الفضيلة في نفسه ما لا يجد لغيره من كلام الشعراء والبحث والتفتيش يزيدانه جلالة ويوجبان له على ما سواه مزيّة ويشهد الطبع وذوق الفطرة لذلك شهادة بيّنة واضحة لا تدركها شبهة إذا قصد الإنسان العدل وترك التعصّب. "(محمد بن سعد الدبل: المقاييس البلاغية والنقدية في قراضة الذهب لابن رشيق، ص20.)»

ولا يختلف هذا الموقف من امرئ القيس من حيث التقديم عن مواقف نقاد آخرين جعلوا امرئ القيس في مقدمة فحول العرب شعريا.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أما الشعراء الذين استغلهم كعينات في التطبيق تحليلا وموازنة بمعاني امرئ القيس، فموزَّعون زمنيا على كلّ عصور الأدب، فمنهم الجاهلي كزهير وطرفة والنابغة، والإسلامي كحسّان بن ثابت، والأموي ككثيّر ومجنون ليلى وجرير والفرزدق وعمر بن أبي ربيعة، والعباسي كبشار بن برد وأبي نواس والبحتري والصنوبري، والأندلسي كابن هانئ وابن دراج القسطلي، والمغربي ومنه شعره وشعر عبد الكريم النهشلي، وهي علاوة على ذلك من حيث القيمة كما وصفها صاحبها(محمد بن سعد الدبل: المقاييس البلاغية والنقدية في قراضة الذهب لابن رشيق، ص120.)

دونَكَهَا يَا سَيِّدَ الْأَحْرار وَوَاحد الْعَصْرِ بَل الْأَعْصَارِ

رسَالَةٌ بَيِّنَة الْأَعْذَارِ بَاحَتْ بِمَا يَخْفَى مِنَ الْأَسْرارِ

إلى أن قال: كَأَنَّهَا مِنْ جَوْدَةِ الْعِيَارِ قراضَةٌ مِنْ ذَهَبِ الدّينَارِ

تبنّى ابن رشيق في هذه الرسالة منهج المقارنة التطبيقي بحيث يتتبّع المعنى الشعري أو الصورة البديعية عند الشعراء، مع الاستشهاد بآراء علماء اللغة والأدب، والرجوع إلى المفهوم اللغوي والأوزان وتركيب الجمل والذوق(محمد بن سعد الدبل: المقاييس البلاغية والنقدية في قراضة الذهب لابن رشيق، ص06.).

وهو في هذا الكتاب قصد مصطلح(السرقة) ليدلّ على أنّ كثيرا من المعاني في متناول المبدعين، والحاذق منهم من يتمكن من استغلالها والتفرّد بها، فمنذ البداية يقرّر أن السرقة لا تكون إلا في الخاص المبتكر، ويعمل في تحليله على تثبيت ذلك، ويؤكد عليها في قوله: إنّ الاتفاق وارد في هذا الباب وليس عيبا، ومن ذلك « ما يعرض للفرزدق إمّا نسيانا وإما تغلّبا لأنه راوية للشعر مكثرا منه قاهرا لشعراء عصره مهيبا فيهم ولم يكن أحدهم يرميه بالعجز والتقصير فينسب ما يأخذه إلى السرق لأنّه تعاطى شيئا يفوته عمل مثله» (محمد بن سعد الدبل: المقاييس البلاغية والنقدية في قراضة الذهب لابن رشيق، نادي القصيم الأدبي، بريدة، 1415هـ، ص85.)، كما كان جرير يقوم باجتلاب أشعار غيره متعمّدا كلّما رأى بيتا لغيره يصلح لشعره، ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما فعله ببيتي المعلوط السعدي (محمد بن سعد

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الدبل: المقاييس البلاغية والنقدية في قراضة الذهب لابن رشيق، نادي القصيم الأدبي، بريدة، 1415هـ، ص85):

إِنَّ الّذِينَ غَدَوا بِقَلْبِكِ غَادَ روا وَشِلا بِعَيْنَيْكِ لا يزال معِينَا

غَيَّضْنَ مِنْ عَبَراتهن وَقلْنَ لِي مَاذَا لَقيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا(ترشاق سعاد: النقد المغربي بين التنظير والتطبيق، ص276.)

ليصل في ختام بحثه إلى أنّ ما جاء في أبياته التي فتحت أمام أعدائه فرصة الطعن عليه، ليست إلا نقطة من دائرة وقطرة من بحر. (ترشاق سعاد: النقد المغربي بين التنظير والتطبيق، ص120)

7- أنموذج الزمان في شعراء القيروان: ابن رشيق أيضا صاحب(الأنموذج)، وهو سجلّ لشعراء (القيروان) ممّن عاصرهم أو جالسهم أو وقع على شيء من أشعارهم وأخبارهم، وهذا منهجه الذي قال عنه في الكتاب نفسه: "كلّ ما جئت به من الأشعار على غير جهة الاختيار"(ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص296.)، ويقصد بالاختيار أنّه لم يفضّل القصائد على أيّ أساس نقديّ ما عدا أن يكون الشاعر قيروانيّا، فهو يذكر شعراءها على اختلاف مذاهبهم الشعرية لأنّ هدفه هو التأريخ للحركة الشعرية في القيروان بذكر من عرفهم أو سمع عنهم من الشعراء.

وكعادته في باقي مؤلفاته، فإنّ الموضوعية لازمته أيضا، ومن مظاهر اتصافه بها، مراجعة أحكامه والرضا بما يوجه له من انتقادات كما حدث له مع الشاعر محمد بن حبيب التنوخي، إذ كانت بينهما منافسة شعرية وقضى له العلماء على حساب ابن رشيق، فلما راجع قوليهما قنع بالحكم لمنافسه لحسن نظمه، ولما وجد فيه من كلام موجز وإصابة للغرض.(ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص299.)

وبغض النظر عن الخلاف الحاصل حول عنوان الكتاب بين (أنموذج الشعراء) أو(الأنموذج) أو (أنموذج الزمان في شعراء القيروان). (ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص17.)، فإنّ

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

قيمة الكتاب محفوظة لما ورد فيه من اختيارات شعرية لمغاربة، وقد أثنى عليه الشاعر عبد الرزاق بن علي النحوي شعرا فقال (ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ص128 وما بعدها.):

وَ مطَرَّزا حلَلَ البَلاغَةِ معْجِزا كلَّ الْوَرَى بِبَلَاغَةِ (الانموذجِ)

فَكَأَنَّه لِلسّمْعِ لَفْظٌ أحِبه وَكَأَنَه لِلْعَيْنِ رَوْض بَنَفْسَج

وَكَأَنَه لِلْقَلْبِ سِحْر عَلاقة فِي مهْجَة تَخْشَى الصّدودَ وَتَرْتَجِي

خَصَصْتَ أَهْلَ الْغَرْبِ منْه بِمَشْرِق بِأَقَرَّ مِنْ شَمْسِ النّهَارِ وَأَبْهَجِ

ترتبط المؤلفات الثلاثة باسم واحد وهو من زعماء النقد المغربي والنقد العربي القديم عموما، لأنها تعكس صورة ناقد لا يكتفي بالتنظير، إنّما منهجه في النقد هو وضع الأفكار موضع التجريب، وهذا الذي يستشفّ من كتبه التي سبق ذكرها، حيث طرح فيها خلاصة ما قرأه وسمعه وتعلّمه واستنتجه حول الشعر، مازجا التنظير مع التجريب.

وقد أثمرت هذه المؤلفات على إعطائه مكانة مميّزة ضمن قائمة النقاد العرب، إذ تدلّ على أنّه يتصور النقد الأدبي كعمل متكامل يجمع التنظير إلى التطبيق، وهذا هو الطريق الصحيح الذي يجب أن يسلكه كلّ ناقد على أن لا يكون التطبيق آليا أو ينحصر في اتجاه واحد، إنّما المقصود به « التجريب بمستوييه السطحي والعميق، تجريب « نقد » النصوص من جهة، وتجريب «نقد النقد » النصوص من جهة ثانية وفق شروط التجريب المعتبرة في كليهما»(عبد الواسع الحميري، اتجاهات الخطاب النقدي العربي وأزمة التجريب، ص100)، ومن أهمها أن يتوفر المجرب على « جهاز أدواتي مفهوماتي. (عبد الواسع الحميري، اتجاهات الخطاب النقدي العربي وأزمة التجريب، ص100)»

وهذا الجهاز تشكّل لدى ناقدنا خلال مسيرته النقدية والعلمية، فإذا أخذنا بعين الاعتبار ثقافته وتعدّد مواهبه بين نظم الشعر ونقده وتقدّمه في مجال الإبداع ومكانته بين أقرانه وعند أساتذته، وقرأنا ما وصل من كتبه قراءة متصلة، تبيّن أنّه لا تعوزه إجراءات التطبيق ولا الجرأة في تبنّي الأفكار وخوض مشكلات النقد وقضاياه، فكتابه (العمدة) بمثابة الحقل النظري حيث عرض مجموع الأفكار والآراء من

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

حيث ضبط المصطلحات وبناء المفهومات ومناقشتها، و(الأنموذج) و(القراضة) تجلّيا لذلك، وما يدلّ على تكامل منهجه في النقد وارتباط أعماله بعضها ببعض قوله في(القراضة) متحدثا عن المبالغة والتتميم « وفي كتاب(العمدة) من ذلك جملة كافية إن شاء الله تعالى» (ابن رشيق: قراضة الذهب، 34.) ، وقوله: « وقد علمنا أنّ الكلام من الكلام مأخوذ وبه متعلق والحذق في الأخذ على ضروب وأنا ذاكر منها ما أمكن وتيسّر إذ ليست هذه الرسالة موضع استقصاء لا سيما وقد فرغت في كتاب(العمدة) ممّا يراد أو أكثره» (ابن رشيق: قراضة الذهب، 54 وما بعدها). ، وذكر(رسالة كشف المساوئ) بمعرض حديثه عن بعض أنواع السرقة التي لا تعدّ كذلك، كما يلحظ اعتماده على آراءه علماء كابن الأعرابي والثعالبي والمعري والأصفهاني.

وأكثر ما يميز منهج ابن رشيق في كتابيه(العمدة) و(قراضة الذهب) هو كثرة الشواهد شعرا ونثرا قال يعلّل ذلك « وكلّما كثّرت من الشواهد في باب، فإنما أريد بذلك تأنيس المتعلّم، وتجسيره على الأشياء الرائقة، ولأريه كيف تصرّف الناس في ذلك الفن، وقبلوا تلك المعاني والألفاظ. (ابن رشيق: العمدة، ج2، ص75)»

إذن ابن رشيق من المقتدرين على التأليف النقدي والميّالين إليه، وهذا ما أعطاه ميزة ومكانة بين النقاد القدامى والمغاربة، وجعل كتابه مصدرا من مصادر النقد الأدبي المغربي القديم (ترشاق سعاد: النقد المغربي بين التنظير والتطبيق، ص279.).

8- التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي:

ومن الكتب النقدية التي تطالعنا بطابعها الأدبي التهكمي المشوّق قصة ابن شهيد النقدية المسمّاة (التوابع والزوابع)، والتي جسّدت بشدة الصراع بين الأدباء وبين مؤلفها في قالب أدبي قصصي جمع بين الحكاية الشعبية القديمة المرتبطة بفكرة الجنّ التي تمدّ الإنسان بالشعر، وبين النقد وهو مضمون الرسالة ومحتواها، والرسالة تجربة قصصية طريفة اتخذت من أسلوب المقامات سبيلا للنقد، ما أدخلها ضمن

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الابتكارات التي تزاوج بين العلم والدرس، أي بين (النقد) وفن القص(ترشاق سعاد: النقد المغربي بين التنظير والتطبيق، ص296.).

وهي مقسَّمة إلى مدخل تحدّث فيه المؤلف على كيفية تعلّمه، ومهّد لموضوعاته بالحادثة التي ذكرها، والتي تفيد بأنه حاول أن يرثي حبيبا له مات، غير أنه ارتجّ عليه حتى ألقى إليه زهير بن نمير بما تعسّر عليه قوله، ومذاك صار كلّما احتاج معنى أو قولا إلا وجده أمامه يرفده بجيّد الشعر.(ابن شهيد: التوابع والزوابع، ص ص88-90.)

تبعه بفصل لتوابع الشعراء، وقد بدأ بهم شوقا إليهم، فزار وادي الأرواح، حيث التقى أصحاب امرئ القيس وطرفة وقيس بن الخطيم وأبي نواس وأبي تمام والبحتري، وفصل آخر لتوابع الكتّاب وأسماهم الخطباء، وخصّ منهم الجاحظ وعبد الحميد الكاتب وبديع الزمان الهمذاني وأبي إسحاق بن حمام.

ثمّ خصّص الفصل الذي تلاه لنقّاد الجنّ، حيث تباحث معهم موضوع سرقات الشعراء وطرق استفادتهم من مواضيع بعضهم البعض، وختم رسالته بحوار دار بينه وبين حيوان الجن، ناقش فيه نقد النحاة وشيوخه بسخرية شديدة.

وقد وقع حديث طويل فيما يخصّ علاقتها برسالة المعري(الغفران)، من حيث الفارق الزمني بينهما، وكذلك تداخل الموضوع (ابن شهيد: التوابع والزوابع، ص ص67-70-74)، رغم أنّ ما يجمع بين العملين من حيث الموضوع لا يعدو أن يكون تأثرا بالفكرة، لأنّ الهدف مختلف، فعمل ابن شهيد رسالته بقصد« الطعن على أنداده ومنافسيه من الوزراء والأدباء، وأهل السياسة والقلم، ثم المنافحة عن أدبه بالرّدّ على غمزات نقّاده، ثم إظهار محاسنه وفضائله في المتقدّمين والمتأخّرين[1] »(ابن شهيد: التوابع والزوابع، ص 70) إضافة إلى فرق المنهج والفكرة: "لأنّ أبا عامر توخّى هدم خصومه وحسّاده، وبناء فضله ونبوغه، وأمّا أبو العلاء فقد شاء أن يعبث بعقيدة الغفران، ويتهكّم بأهل عصره في تصوّرهم الجنة حافلة بالملذّات المحسوسة، والنار مشبعة بألوان العذاب والتّنكيل، وإن لم يفته الإدلال بعلمه وسعة اطّلاعه. (ابن شهيد: التوابع والزوابع، ص 83)»

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

فغاية كاتبها أن يقتنص لنفسه مكانا محترما بين النقاد والأدباء الفحول القدامى والمحدثين أمثال : امرئ القيس، وطرفة، وقيس ابن الخطيم، والبحتري، وأبي تمام، والمتنبي، وأبي نواس، والجاحظ وعبد الحميد الكاتب، وابن العميد، وبديع الزمان الهمذاني، وهم شخصيات أدبية تشترك في صفة الإجادة لاستعانتهم بقوة الجنّ، وهي القوة نفسها التي أمدّت ابن شهيد ببديع المعاني وجميل اللفظ، وأهّلته ليكون ندّا لهم شعرا ونثرا وهذا في حدّ ذاته تفوّق، فأغلب هؤلاء أجادوا في لون أدبي واحد، بينما اكتمل له القول في الفنين.(ترشاق سعاد: النقد المغربي بين التنظير والتطبيق، ص297.)

وعلاقة الرسالة بغيرها من الآداب أثارت نقاشا في كتب غير عربية، فقد ذكر هنري بيريس Peres Henri أنّ ابن شهيد كان فيها متأثرا بالفكر اليهودي والمسيحي بسبب اختلاطه بهم، واطلاعه على الإغريق واللاتين كونه كان شغوفا بالقراءة، فهي نتاج للبيئة والحياة الشخصية لصاحبها في قرطبة، لأن الأدب الإسباني – كما يقول – آنذاك كان نتيجة لتأثره بالأدبين العربي والإغريقي اللاتيني (Henri Peres, La poésie Andalouse en Arabe classique au xi siècle. Ses aspects généraux, ses principaux thèmes et sa valeur documentaire, p:37- 38.)، وكونها صدرت عن مؤثرات كتلك وصفها بالفريدة في الأدب العربي والأصيلة.

ورغم الخلاف الواقع حول زمن تأليفها والعوامل التي أمدّت صاحبها بالفكرة، فإن الدارسين اتفقوا على أهمية مؤلفها ومكانته في(قرطبة)، فهو كما وصفه بطرس البستاني "نقطة الدائرة الأدبية في عصره، يرفع الأمراء قدره، ويخطب الوزراء صداقته، ويتبارى الشعراء والكتّاب بمساجلته، واستحثاث قريحته".

لذلك كثر خصومه ومنهم من ذكره في رسالته كأبي محمد، والذي يرجّح أن يكون أبو محمد بن حزم صديقه، وقد تكون أسباب الخصومة بينهما المنافسة الأدبية، كما استنتج محقق الرسالة بطرس البستاني، وأبي القاسم الإفليلي أحد أئمة النحو واللغة بالأندلس، وقد كان « كثير الحسد والغرور يجادل على الخطإ ويتشبث به معاندا» (ابن شهيد: التوابع والزوابع، ص28.)، وأبو بكر، وهو مجهول، فقد

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

يكون أبو بكر عبادة بن ماء السماء الشاعر والأديب والوشاح القرطبي، وقد يكون أبو بكر المعروف بأكشيماط. (ابن شهيد: التوابع والزوابع، ص30.)

وقد ذكر ابن بسام أن رسالة ابن شهيد كانت موجهة لأبي بكر ابن حزم، وعرّفه محقق الكتاب إحسان عباس بأنّه أبو بكر ابن حزم أحد شيوخ الأدب، وذكر أنه غير الفقيه أبي محمد علي أحمد بن سعيد بن حزم.(ابن بسام: الذخيرة، م1، ص245.)

وهذه الرسالة النفيسة واحدة من رسائل أخرى لابن شهيد، منها رسالة(حانوت عطّار)، وديوان شعر، غير أنّها التي تهمّنا في موضوعنا إذ يسعى إلى تقصي مميزات النقد التطبيقي بالمغرب العربي، ووسائل أصحابه في مباشرة النصوص، وقد حققها بطرس البستاني معتمدا على ما ذكره ابن بسام في(الذخيرة.)

9- نظم الدرر والعقيان (القسم الرابع في محاسن الكلام) لمحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، (وفاته في القرن التاسع الهجري) وفيه حديث عن فضل الشعر ومن رفعه الشعر ومن وضعه الشعر، وفوائد الشعر تفاؤل الشعراء، واقتدارهم على تحسين القبيح وتقبيح الحسن، ثمّ يتحدّث عن البديع كالتجنيس والتوجيه والطباق واللف والنشر، ومراعاة النظير، والرمز والاقتباس، والكتاب يعتمد على العمدة كما هو واضح من موضوعاته.

10- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني (684هـ):يعدّ كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء للقرطاجني ثمرة التلاقح بين ثقافتين: عربية ويونانية ، وليس نسخا أو ترجمة أو شرحا أو تعليقا على أفكار أرسطو أو غيره كما هو الحال عند بعض أعمال الفلاسفة العرب السابقين، ولهذا يصحّ القول بأنّ عمل حازم كان محاولة لتطبيق بعض أفكار أرسطو على الشعر العربي وهو تطبيق في الكثير من الخروج على أرسطو والركون إلى الأفكار العربية في البلاغة والشعر والنقد.

كان الدافع لتأليف المنهاج في رأي صاحبه هو اختلال طباع الناس في زمانه الأمر الذي أوجب تعلّم تلك الصناعة ، فإذا كان القدماء -على ما هم عليه من المقدرة والجود- بحاجة إلى التعلّم الطويل فما بالك بأهل هذا الزمان؟ ويقول إن النظم صناعة آلتها الطبع.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

11- المقدّمة: ابن خلدون 808هـ: كتب مقدّمة طويلة أراد بها في البداية أن تكون تمهيدا لكتابه التاريخي الموسوم بـ "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر.." وقد نالت هذه المقدّمة شهرة كبيرة فاقت شهرة الكتاب الأصلي جمع فيها آراءه في مختلف الميادين كالعمران، البدو والحضر، التاريخ الأدب النقد.

وكان من جملة هذه الآراء ما كتبه ابتداء من الفصل السادس والثلاثين حتى الفصل الخمسين من مباحث تتعلّق بعلم النحو وعلم البيان وعلم اللغة وعلم الأدب ،وعن صناعة النظم ، وعن أشعار العرب في الأمصار لعهده، واختتم المقدّمة بحديث عن الموشحات والأزجال في الأندلس.

من هنا يمكن القول: إن النقد المغربي أنتج آراء نقدية جديدة لم يكن للمشارقة مثلها، ولم يكن المغاربة يولون الاهمية لجزئيات القضايا التي افتتن بها المشارقة في نقدهم كقضية الحداثة والقدم واتخذت من البداية عند النهشلي وابن رشيق وحازم القرطاجني موقفا صريحا فالجودة والرداءة لا ترتبط بزمن أو عصر. ولا ننكر تأثر المغاربة بالمشارقة كما ان النقد المغربي التطبيقي عالج قضاياه بجرأة ومواقف صريحة كقضية اللفظ والمعنى والشكل والمحتوى خصوصا عند القرطاجني الذي أرجع الشعر الى الخيال وما يحدثه في المتلقي. ومن أكثر قضايا النقد التطبيقي حضورا ومناقشة وتفصيلا قضية الموازنات من حيث المعاني الشعرية ومن حيث الابداع ومن حيث العروض والوزن. ومن القضايا التي اشتغل عليها النقد المغربي التطبيقي ما تعلق بالمعجم ومباحثه كالجانب الصوتي ووضع اللفظ في غير موضعه واستعمال المولد والدخيل والعامي والترادف والتكرار والحشو....الخ. ومن حيث قضايا الصرف تناول النقد المغربي ما له علاقة بالاشتقاق والتصغير والتضعيف وصيغ الجمع...الخ، ومن الجانب النحوي تناول وناقش قضايا التقديم والتأخير والحذف والفصل والوصل وتكرار العناصر النحوية....الخ وناقش أيضا ما له علاقة بالعروض وموسيقى الشعر كعيوب الوزن والقافية والروي وما يقابلها من أوصاف ونعوت أيضا.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

قائمة المصادر والمراجع:

1. ترشاق سعاد: النقد المغربي بين التنظير والتطبيق: دراسة في تطور النقد المغربي القديم من القرن الخامس حتى القرن السابع للهجرة، مخطوط دكتوراه في الأدب العربي القديم، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2014-2015م.

2. عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، در هومة، الجزائر، ط3، 2007.

3. يراجع :ابراهيم بن إسحاق الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، ضبط وشرح زكي مبارك، المطبعة الرحمانية بمصر، 1931م-1350هـ.

4. ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة بيروت، 1417هـ-1997م.

5. ابن رشيق، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1986م.

6. مصطفى عبد الواحد، ابن شرف القيرواني الشاعر القيرواني، ط1، مطبعة دار التأليف، 1402هـ/1982م.

7. القزاز القيرواني، ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر من الضرورة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

8. محمود شكري الآلوسي، الضرائر وما يجوز للشاعر دون الناثر، شرح محمد بهجة الأثري، د ط، المكتبة العربية، بغداد،العراق، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، 1341هـ.
9. محمد مرتاض، النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000م.
10. ابن رشيق القيرواني، الحسن بن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد). (ط5). (ج1). بيروت: دار الجيل(1401هـ).
11. الزركلي، خير الدين بن محمود. (2002م). الأعلام. (ط15). (ج2). بيروت: دار العلم للملايين.
12. الراجكوتي، عبد العزيز الميمني. ابن رشيق. المطبعة السلفية، القاهرة: (1343هـ)، ص 40.
13. ابن خَلِّكان، أحمد بن محمد. (1969م)، ص191، وفَيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. (تحقيق إحسان عباس). (ج2). بيروت: دار صادر. لبنان.
14. التونجي، محمد. المعجم المفصل في الأدب. (ط2). (1419هـ). بيروت: دار الكتب العلمية.لبنان.
15. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد.. العبر وديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. (تحقيق خليل شحادة). (ط2) (1408هـ). (ج1). بيروت: دار الفكر.
16. القفطي، علي بن يوسف. إنباه الرواة على أنباه النحاة. (ط1). (ج1). بيروت: المكتبة العصرية،(1424هـ)
17. ضيف، شوقي. البلاغة، تطوّر وتاريخ. (ط9). القاهرة: دار المعارف، (د. ت).
18. سيد رضا سليمان زاده نجفي وغلام رضا شانقي: دراسة حول ظاهرة التكرار من خلال آراء ابن رشيق النقدية في كتابه العمدة، بحوث في اللغة العربية وآدابها:نصف سنوية لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان، العدد 4، ربيع وصيف 1432هـ.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

19.أحمد سيد محمد: المصدر الأدبي، مفهومه وأنواع دراسته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1986.

20.محمد بن سعد الدبل: المقاييس البلاغية والنقدية في قراضة الذهب لابن رشيق، نادي القصيم الأدبي، بريدة، 1415هـ.

21.عبد الواسع الحميري، اتجاهات الخطاب النقدي العربي وأزمة التجريب، ط0 ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2008م.

Henri Peres, La poésie Andalouse en Arabe classique au xi siècle. Ses aspects généraux, ses principaux thèmes et sa valeur documentaire, p:37- 38.